المشرق

ترقّي فنّ الحرب البحرية

للاب هنري لامنس اليسوعي

انّ الحوادث التي تجري في هذه الأيّام بين دولتين عظيمتين كالولايات المتّحدة واسبانية استلفتت كلّ الانظار الى صناعة الحرب البحريّة. فلا غرو انّ قرّاءنا الكرام يودّون لو يقفوا على ما صارت اليه احوال هذا الفنّ الخطير وما بلغهُ من التحسينات المتوالية. فمن ثمّ رضنا هذه النبذة الوجيزة لنبحث فيها اوّلاً عن المراكب المدرّعة ثانياً عن الطرّادات ثالثاً عن النسّافات والغوّاصات رابعاً عن البطاريات البحريّة

١ الدوارع

لمّا توفّر استعمال المدفعيّات ذوات الاطلاق السريع وكثر الالتجاء الى قذائف الميلينيت تحتّم ايضاً توسيع نطاق السفن الحربية المدرّعة. لكنّ ذلك استدعى ايضاً في الوقت ذاته تخفيض سمك الصفائح حتّى لم يتجاوز ثقل تدريع بعض الطرّادات ثُلث مناص السفينة كلها في الماء. وجلُّ ما يطلبهُ ارباب البحر في تعمير السفن ان يتمّوا انفجار القذائف في وسط السفينة فاذا ما جرى ذلك خربت الحال ادوات المركب الجوهريّة وتحطّمت آلاتهُ الحيويّة وامتنعت مواصلة الاشتغال بين اقسامهِ الشتّى

ولحسن الطالع قد اكتشف هرفي (Harvey) نوعاً من صفائح الفولاذ أمتن من الفولاذ العادي بنحو الاربعين في المئة. ثمّ ان الميلينيت تنفجر باوّل صدمة اذا ما صادفت تصفيحاً خفيفاً لا يتجاوز سمك عشرة سنتيمترات. فهذا ما مكّن من تخفيض سمك دروع السُّفن ومجموع ثقلها التامّ

امّا باطن السفينة فجعل الآن البحريّون يعدّدون فيها الآلات المحركة وهي في الغالب

ثلاث لتُقسَّم بذلك الاخطار فاذا اصيب قسمٌ من الطرَّادة بأذًى سلم القسمان الآخران. واكثر ما يُتَّخذ الآن في داخل السفن الآلاتُ الكهربائية عوضًا عن ادوات النجّار المانية ويُوضع الجهاز الكهربائي في اقصى السفينة حيث يكون بمزلٍ عن كلّ خطر. وفوقها تكون البروج المصفَّحة حيث المدافع الضخمة والفوَّهات ذات الطرز المتوسّط. ودفعًا لمضارّ القذائف تُعزل المدافع عن بعضها ويُغطَّى اعلى البروج بصفائح الفولاذ. امَّا رئيس السفينة فلهُ مركز في اسمى محلّ المركب مصفَّح بصفائح سمكها ثلاثون او اربعون سنتيمترًا ومن مركزه هذا يبلِّغ اوامرهُ الى كلّ انحاء السفينة والى جميع الضباط

فترى انّ المبارزة شديدة تقوم على ساقٍ بين المدافع والسفن المصفَّحة. فايُّ الى لمن تكون الغلبة ؟ ولا شكَّ ان الفوز للمدافع وذلك لانّ تقدُّم البطاريات وقوَّتها في نموّ متزايد لا يكاد يبلغ حدًّا امَّا دفاع السفن المدرّعة فلهُ حدٌّ وذلك من جرّاء ثقل السفينة. فان الدوارع الكبرى لها اثقال ضخمةٌ يصعب تحريكها ولا بُدّ من زيادة هذه الاثقال بقدر ما تتحسَّن صناعة الحرب البحريّة وكلُّ اكتشاف جديد يقتضي زيادة في ثقل السفينة

واملّ ذلك يدعو عمَّا قليل ارباب الصناعة البحريّة ان يهملوا الدارعة المتسعة الجوانب المرتفعتها وهي التي كانت شائعةً الى عهدنا. واذا ما أُتقن تركيب الميلينيت قضي على خرق صفائح السفينة وامكنهُ ان ينفجر في باطن السفينة لا بدّ من الالتجاء الى سفنٍ اخرى مختانة الاغاط. ولا يبعد ان يعودوا الى الطراز القديم المعروف بطراز المونيتور وهذه السفن قليلة الارتفاع فوق سطح الماء يحدق بها نطاق من الفولاذ الكثير السمك لا يكاد يرتفع منها غير الابراج ومقام ربّان السفينة. واكثر البحريين يزعمون انّ هذا الصنف افضل الاصناف وعليه سيكون المعوّل في المستقبل

٢ الطرَّادات

قد كانت الطرّادات منذ عهد قريب مختلفة كلّ الاختلاف في شكلها عن الدوارع واليوم قد كاد يتوارى هذا التباين بينهما. فصار تصنيع كلا الصنفين متساويًا في الضخم والسمك. والبطاريّة في الدوارع اقوى بقليل منها في الطرّادات. وانّما الفرق الكبير بينهما متوقّف على اختلاف السرعة فالطرّادات اخفُّ حركةً من الدوارع

وللناس ولوع في زماننا بتعيير الطرّادات الحقيقة السير القويّة الجهاز الحربيّ واكثر الدول لا تزال تسعى في تجهيز سفن جديدة من شكل الطرّادات ودونك جدولًا يفيدك

عن حالة الدول من هذا القبيل وفيه ضمناً ما لكلٍّ منهنّ من اصناف السفن البحرية في دار صناعتها مما نجز عملهُ او قرب نجازهُ

اصناف السفن البحرية	انكلترة	فرنسة	روسية	المانية	ايطالية	النمسة	الولايات المتحدة	اسبانية	اليابان
الدوارع	٥	٣	١	٢	٣	٢		١	٣
الطرّادات المدرّعة		٥	٣	١	٣	١		٣	١
الطرّادات الكشّافة	١٥	٥	١	٦	٣	٤		٥	٦
المدفيّات	١٤	١	١		٧		٤	٣	
النسّافات	١١	٣١	١٦	٦		٤	١٥		١٤
التراصات		١	١		١		٣	١	

وقد سُئلت اللجنة الايطالية البحرية عن منافع تعمير الدوارع فبعد الفحص رجّحت الرأي ببدلها فيما بعد بالطرّادات وذلك لأنها انسب بفنّ الحرب البحرية الجاري في ايامنا

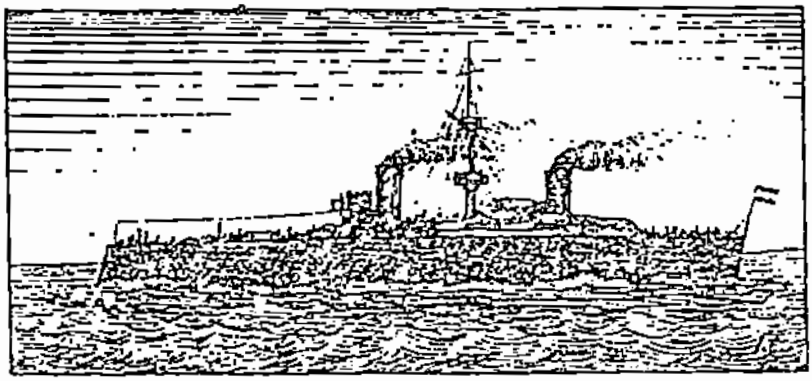

الطرّاد الاسباني كريستوف كولومب

ويوجد عدد غفير من الطرّادات التي لم تتشبّح بالفولاذ في خارجها مثل الطراد الانكليزي الشهير «بَوْرْفول» البالغ طولهُ ١٥٠ متراً وهو في غاية الخفّة. وفي هذه البنايات البحرية لا يُمكن الّا مراعاة احد امرين اما القوّة واما الخفّة فما يُنال من جانب يُنقد من جانب آخر

٣ النسّافات

قد زادت النسّافات خطارةً في هذه السنين الاخيرة لما في قذائفها من الفعل العجيب لأنها تفتك بطبقات السفن السفلى الغائصة في الماء. وقد كانت انكلترة الى السنين

الاخيرة تتظاهر بعدم مبالاتها بتعمير النسافات ولذلك ترى عدد نسافاتها اقلّ بالنسبة الى بعض الدول . ولكن لمّا لحظت ما يُداهم دواريّا من الاخطار المسيّئة من هذه السفن الصغيرة الحجم قرّرت مبلغ مئة مليون فرنك لتجهيز نحو مئة سفينة لماكسة النسافات (Contre-torpilleurs) . وليست هذه المراكب الّا صنفاً آخر من النسافات بيد انّها اكبر حجماً واسرع سيرًا واقوى سلاحاً يبلغ طولها ستين مترًا وسرعتها ثلاثين عقدةً بحريّة . وقد بُوشر في بناء احداها ستبلغ سرعتها ٣٣ عقدةً اعني انّها تقطع في الساعة مسافة ٦١ كيلومترًا . وبطاريّة هذه السفن تشتمل على مدفع واحد سريع الطلقات ذي ٧٥ ميليترًا وخمسة مدافع مثلها ذات ٥٧ ميليترًا . ولها ما عدا ذلك فوهتان لرمي العدوّ بالقذائف تدوران على محور الى كلّ الجهات ولا شكّ انّ هذه السفن ستبطل جانباً كبيرًا من قوّة النسافات . الّا انّ صغر حجمها وخفّة جوانبها وسرعة عطب ادواتها ستعرّضها الى اخطار كثيرة . وقد عمّرت فرنسة سفينة من هذا الطرز لماكسة النسافات يُدعى قُربان سرعتهُ احدى وثلاثون عقدة ولكنّها تؤثر تجهيز النسافات

السفينة سِرّوهنك الانكليزية الماكسة للنسافات

وقد اكتُشفت منذ أمد قريب طريقة لزيادة سرعة هذه السفن وهي اتخاذ الآلات البخاريّة الدولابية المعروفة بالتوربين (turbine) وهي تقوم مقام آلة التحريك بأنّ تعمل توًّا على العمود الذي فيه الآلة الدافعة . وكان يحول دون ذلك موانع في تحريك نسافات لا يتجاوز طولها ثلاثين مترًا . فلمّا ارادوا ان يديروا الآلة بالماء عثروا على امر غريب لم يلحظوهُ من ذي قبل وهو انّ الماء كان يكثف فيضحي اشبه بجسم لزج كأنّهُ العجين . وما غلبوا هذا المانع الّا بوضع ثلاث آلات دولابية يمتدّ فيها البخار فيتسع بذلك تكاثف

الماء وهكذا جعلوا ثلاثة جسور متحركة وعلى كلّ جسر ثلاثة دواليب مرتبطة بعضها كثلاثة تروس في سفود واحد. فكانت نتيجة هذا الاختراع ان بلغت حركة السفن ثلاث وثلاثين عقدة وهي سرعة غريبة بالنسبة الى صغر النسافات

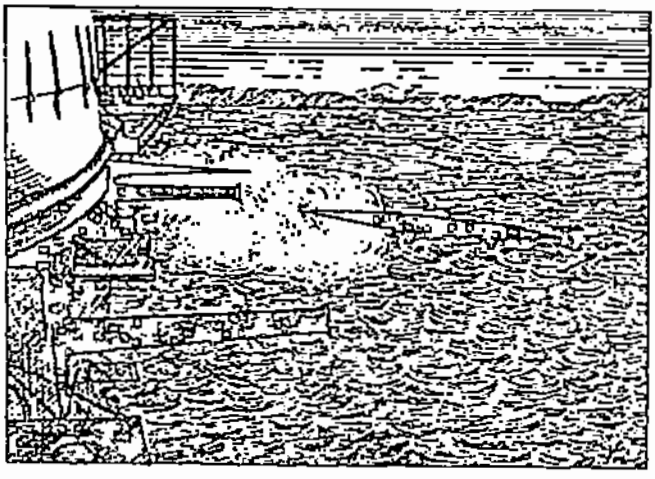

رمي قذائف الطربيل من النسافات

ومن خواصّ هذه الآلة البخارية الدولابية انّ خفتها نصف خفّة الآلة الاعتياديّة فيتوفّر بذلك المكان في السفينة ويتسنّى زيادة تعميرها بالقذائف والفحم وعلم جرًّا . وعلاوةً على ذلك انّ هذه الآلة الدافعة غائصة كلها في الماء فليس عليها خطر من جانب بطاريّة العدوّ بخلاف غيرها من الآلات العاديّة

وليس في استعمال هذه الآلة الدافعة سوى نقص واحد وهو انّ السفينة لا يمكنها ان تتقهقر واغّا حركتها الى الامام. وقد اخبرت بعض المجلاّت انّهُ اكتُشف وسيلة لسدّ هذا الخلل بوضع آلة دولابية رابعة يديرها البخار. فان صحّ الخبر حُلّت كلّ المشاكل لتعمير السفن الحربية الصغيرة البالغة السرعة

وقد ذكرنا في جدول (ص ٥٣١) السفن الغوّاصة وعدّدنا للولايات المتحدة ثلاثة منها فهاك وصفها هي سفن صغيرة طولها من عشرين الى اربعة وعشرين مترًا في عرض ثلاثة او اربعة امتار على شكل السمكة. وفي اعلاها برج صغير او سطحٌ منهُ ينفذ النور لاهل السفينة اذا لم تنغطس باجمعها. امّا مغاص هذه السفن فبواسطة دفّةٍ وبأن يُبدل

ثقل السفينة وذلك ان يُملأ بعضُ احواضها بكمّيّة من الماء او يفرَّغ على مقتضى الحال. فاذا علت فوق سطح الماء يمكن تحريكها بواسطة آلة من الغاز اما اذا غاصت فتحرّكها البطاريّات الكهربائية. وسرعة حركة هذه السفن فوق الماء تبلغ خمس عشرة عقدة وفي وسط البحر ثماني عقد

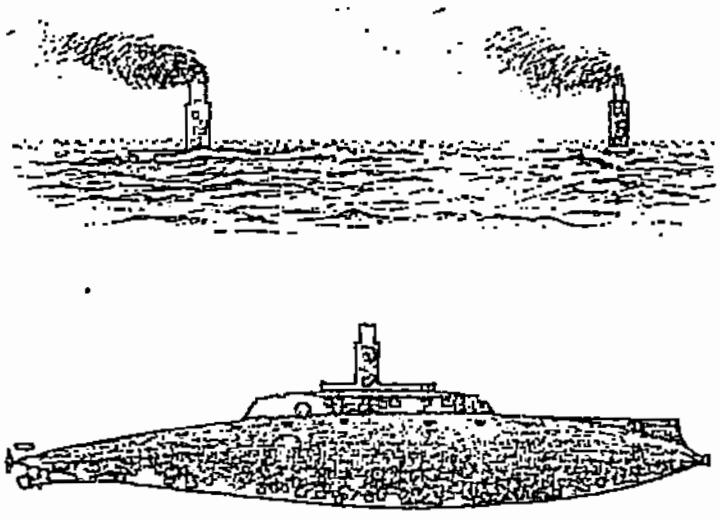

الغوّاص هولند

وقد انتهى مؤخرًا الروسيون من تسيير مركب غوّاص في غاية الصغر طولهُ خمسة امتار وثمانون سنتيمترًا فقط وثقلهُ طنٌّ اي الف كيلوغرام تحركهُ الكهرباء فيسير بسرعة عشر عُقد في الساعة

٤ البطاريّة البحريّة

اهمّ ما أنبأتنا عنهُ المجلاّت من هذا القبيل تحسُّن البطاريّات السريعة الطلقات فانَّ المدافع الخفيفة كمدافع الطرز المتوسّط التي تبلغ فوهتُها ستة عشر سنتيمترًا تُسبك اليوم على النمط السريع الطلقات. واشهر المدافع الخفيفة مدفع مَكسيم الذي يقذف بحركتهِ الذاتية ٣٠٠ قذيفة في الدقيقة يبلغ ثقل الواحدة ٥٠٠ غرام

اما مدافع الطرز المتوسط فتقذف في الدقيقة خمس قنابل ثقل كل واحدة ٤٥

كيلوغراماً. وقد وسعت القوهة الى عشرين واربعة وعشرين سنتيمترًا تطلق ثلاث او اربع طلقات في الدقيقة يُسمع لانفجارها صوت كدوي الرعد

وكلُّ هذه القذائف تنصبُّ على سُفن العدو كأنها مطر مدرار من الحديد وليس في هذا التشبيه مغالاة. فان اعتبرت مثلاً احدى الدوارع الكبرى وجدت انَّ بطاريتها تستطيع ان تطلق بسهولة في الدقيقة قذائف ثقلها اربعة آلاف كيلوغراماً ما عدا المدافع التي يمكن تحويلها على حسب قطب السفينة وتبلغ قذائفها نحوًا من الفين ومئتي كيلوغرام هذا مع قطع النظر عن مدافع العشرة سنتيمترات. فان كانت الدارعة الواحدة تقذف مثل هذه القذائف فما تولك عن دوارع كثيرة واساطيل شتَّى متجرِّدة للقتال في وقت واحد فبالحقيقة لا يمكن احدًا ان يتصوَّر مهاول هذه المعارك البحريَّة سوى من شاهدها بالعيان

وينتج مما سبق انَّ ذخائر الحرب تفنى بوقت قليل وانَّ السفن المصابة بهذه القذائف المهلكة تصبح بآخر المعركة حطاماً تعوم بقاياها على وجه المياه باسوإ حال وربَّما غُرقت تماماً فهبطت بادراتها وركَّابها الى قعر البحر. امَّا ما يبقى منها فيُضحي لما لحق به من الأذى أكلةً للعدو تجرُّها صغار سفنه ونسَّافاتهُ

ولنختم مقالتنا هذه بذكر ما تسعى الدول باكتشافه الآن لزيادة قوَّة البطاريات. قد قلنا سابقًا ان انفجار الميلينيت سريع جدًّا يكفي للقذائف ان تصدم تصفيحًا من الفولاذ سمكهُ عشرة سنتيمترات كي يتطاير لهبها في وسط التصفيح وزدنا انَّ المسيو هرفي وضع لسلافي اضرار الميلينيت تصفيحًا جديدًا يصدُّها عن خرق السفينة. فاستنهض ذلك همم المكتشفين ليبحثوا عن طرائق أخرى لبلوغ غايتهم وقد اتفقت الدول التساطير المتنطرة لوجود قذائف لا تنفجر الَّا بعد خرق صفائح الدوارع. ويقال انَّ بعض العلماء وقف على هذا السرّ المكنون. فانَّ صحَّ الامر لم تعد تصلح السفن القديمة لمهامّ الحرب ويُقتضى تسيير مراكب جديدة

والاميركيون يسعون في اكتشاف طريقة يريدون بها دكَّ سفينة العدو لا خرقها وذلك امَّا برمي قذيفة ذات جرم كبير تصدمها صدمةً هائلة فتحطمها او باطلاق كمية وافرة من المواد المتفجرة. وقد وضع لهم زالنسكي مدفعًا طولهُ خمسة عشر مترًا يمكنهُ قذف قذائف قابلة الانفجار ثقلها ٢٧٢ كيلوغراماً وذلك بقوَّة الهواء المنضغط. ولكن لهذه المدافع خللٌ وهو انَّ قذائفها لا تبلغ سوى مسافة الفَيْ متر فتضطرّ ان تقترب كثيرًا من سفن العدو

فيتمكّن العدو قبل وصولها اليه من ضربها بمدافعه ذوات الطلقات السريعة

وقد عُني في انكلترة مكتشف آخر اميركي الاصل اسمهُ مكسيم بوضع مدفع شبيه بالسابق الّا انّ قذائفهُ مركّبة من الحامض البيكريكي (acide picrique) تبلغ القذيفة مسافة عشرة كيلومترات وثقلها ليس باقلّ من الف كيلوغرام. فترى ما عسى ان يكون مفعول هذه الآلة المرهبة فلا جرم انّها تحطّم السفن المصابة بها تحطيماً فتجعلها كالهباء. ومن دواهي هذه القذيفة الجديدة انّها تنفجر في الماء وبانفجارها تصيب السفن ولو على مسافة خمسة وستين متراً وتلحق بها كلّ الأذى. وهذه القذيفة قد دُعيت بالنسّافة الهوائية (torpille aérienne) ولا يظهر حتى الآن كيف يكون المناص من بلائها

وينتج ممّا سبق ان وسائط الدفاع معها تقدّمت وتحسّنت لا تفي بالمرغوب وانّ ادوات الحرب لا تزال تزيد كمالاً الى ما لا نهاية لهُ. وسيفيدنا المستقبل عمّا يكون من امرها وهذا جدول جمعنا فيهِ نظراً عمومياً عن احوال اشهر اساطيل العالم *

جدول لاخصّ اساطيل العالم

اصناف مراكب العمارات	انكلترة	فرنسة	روسية	المانية	ايطالية	النمسة	الولايات المتحدة	اسبانية	اليابان
دوارع	٣١	٢٠	١٣	٦	١٠	٤	٥	١	٢
دوارع لحماية الشواطئ	٢	٩	٣	١٢		٣	٣		٣
طرّادات مدرّعة	٩	٦	٥		١	١	٣	٥	
مدفعيّات مدرّعة		٨	٤			٢			١
طرّادات كشّافة	٩٠	٢٩	٢٢	٢٠	٣	٣	٢٥	١٢	١٧
طرّادات نسّافة	٩	٧	٨		٢٧	٣	١		٢
ساكنات للنسّافات	١١١	١٣		١٠	٢	٧		١٦	
نسّافات	٧٧	١٩٠	٧٣	١٢٦	٩١	٥٧	١٨	١٤	٣٦
غوّاصات		٢	١	٤	٤		٣	١	
المجموع	٣٢٩	٢٨٤	١٢٩	١٧٨	١٣٨	٨٠	٥٨	٤٩	٥٩

* Cfr. = Revue enéyclopédique Larousse, 7 Mai, 1898 – Carnet de l'officier de marine, 1867 – La Nature, 17 et 21 Mai, 1898

زينب (الزبّاء) ملكة تدمر

للاب سبستيان رتزقال اليسوعي

(تابع لما قبل)

ولم تزل تدمر على تلك الحال تنمي وتتقدَّم في سُبُل العمران حتى صارت في اوائل النصرانية احدى المدينتين اللتين جمعتا معاً بين تجارة اوربّة وآسية اعني مدينتَي بترة وتدمر (١. وكانت القوافل العظيمة التي تقطع البراري تعبر في احدى هاتين العاصمتين فتَنقل منهما البضائع الى رومة وتزيد في حاضرة الممالك اسباب الترَف ورفه العيش (راجع خارتتنا لبيان المسالك التجاريّة في تلك الازمنة ص ٤٩٥) فمن جزيرة العرب كانوا يستخرجون الذهب والجزع والبشب واللُّبان والصَّمغ والصبر وعود الندّ. ويستجلبون من العراق لآلئ البحرين ومن وادي نهر السند وسواحل كورومندل انواع المنسوجات التي يتاجر بها الى يومنا اهل تلك البلاد. ويستحضرون من اقاصي الهند القرنفل والبهار والحرير الصينيّ والنيل والضجاج والفولاذ والعاج والآبنوس. وكانت كلُّ هذه اصناف المتاجر تأتيهم على طريق البرّ. اما ما كان يردهم من الارفاق على طريق البحر فكان دون ذلك. ولا شكَّ انَّ الرومان صرفوا جهدهم في استمالة اهل تدمر بغيةً منهم ان يتناوموا تنفوذ بني ارشك من العجم واستخدموا قوافلها لاعلاء امرهم في تلك الانحاء. ثمَّ ضمُّوا هذه المدينة ملكة الصحراء الى اقاليمهم الشرقية واقاموها منذ بدء النصرانية كرابط بين طرفَي العالم العتيق (٢

---

١) راجع Reinaud : J. A. و Mémoires de l'Acad. des Inscript., t. 24, 1864 J. A. 1883², و *Syrie Centrale, Architecture*, p. 12. Introd. ودي فوكويه 1863¹, ولينورمان «التاريخ القديم»

٢) من المعلوم ان الرومان احسنوا وجه استخدام الامم التي اخضعوا لهم رقابها. مثال ذلك انهم اقاموا بين دمشق وتدمر ٥٢ مركزاً عسكريًّا وبنوا عدَّة حصون على الطريقة الممتدة بين بصرى ودمشق (راجع Duruy : *Histoire* Marquardt :*Römische Staatsverw.* I, p. 414 *des Romains* VI, 80) اما الطريق التي تؤدي من تدمر الى نهر الفرات فلم يغفلوا تحصينها ايضاً (راجع Mommsen : *Römische Geschichte* V, p. 80 . وكل ذلك كما لا يخفى من اقوى الاسباب لتأييد التجارة وعماراتها بتلك البلاد التي تجول فيها قبائل متلصّصة. فلا عجب اذن من ان حركة تجارة رومة كانت تبلغ وحدها الى ما يفوق ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

وفي اوائل القرن الثاني للمسيح شرعت مدينة تدمر ترتقي الى درجة سامية من التقدم والعمران. فامتلأت خزائنها باموال طائلة لم تعهد بمثلها كثرةً اللهم الّا في زمن ملكتها زينب. يشهد على ذلك كتابة رسميّة ذات لغتين (١ قد اكتشفها الامير الروسي لازارف (Lazarew) فأتحف بها العلماء الاوربيين سنة ١٨٨٢. والكتابة المذكورة من الخطارة بمكان رفيع قد جدَّ في استخراج معانيها المفيدة اساتذة اللغات الشرقية وارباب التواريخ القديمة فبيّنوا ان هذا الاثر المهم يرتقي الى سنة ١٣٧ للمسيح وانهُ اجلّ ممّا سواهُ في ايضاح احوال التجارة القديمة اذ يطلعنا ليس فقط على امور تدمر الخصوصية بل ايضاً على عدّة شؤون مختصّة بتدبير الرومان لاقاليمهم الشرقية

وممّا يتبيّن من تاريخ هذه الكتابة النفيسة هو انها خُطَّت في السنة الاخيرة من مُلك اذريانس اي السنة الثالثة بعد سفره الى تدمر. وبتلك الاثناء اتّخذت لها المدينة اسماً ثانياً اجلالاً لهذا القيصر فدُعيت بهِ Hadriana او Hadrianopolis (٢

---

١) اللغتان المذكورتان هما التدمرية واليونانية وهما الغالبتان على الكتابات المكتشفة في عاصمة زينب. ومن المعلوم ان اليونانية كانت بمنزلة اللغة الرسمية في جميع الاقاليم الشرقيّة المُذعنة لدولة الرومان. امّا لسان اهل تدمر فهو لهجة آرامية على غاية الشبه بالسريانية. وقد زعم السيد سانحو ان لغة تدمر هي اللغة التي نطق بها المسيح لذكرهِ المجد مدّة حياته على الارض - (راجع Z D M G: 1883, p. 564) ولكن لا يخلو هذا القول من بعض المبالغة. فان لهجة تدمر اشبه بلغة اهل الرها منها بلغة السيد المسيح وهي الفلسطينيّة - راجع مقالة مستفيضة للعلامة نولدك بهذا الصدد (Z D M G: 1870, p. 108)

اما الخط التدمري فلا تعرف حقّ المعرفة على اي صورة كان في القرون السابقة للنصرانية لان جميع الكتابات والرسوم المكتشفة في تدمر الى هذه الغاية ينحصر تاريخها بين القرن الاول والقرن الرابع للمسيح ولا يرتفع اقدمها عهداً الى ما فوق السنة الثامنة قبل النصرانية. بيدَ انهُ من المقرَّر ان الامم الآرامية كانت قد اقتبست منذ قديم العهد صورة حروفها من الفينيقيين فلم تزل كل واحدة منها تتصرَّف بها وتتيه اشكالها شيئاً فشيئاً الى ان ظهر في تدمر الخط الذي وُجد منهُ آثار عديدة على بقايا ابنيتها واخربة هياكلها. والخط المذكور قريب الى الخط السيرافي المربّع. فكانهُ رابطٌ بينهُ وبين الخط السطرنجيلي المنتشر في الرها. (راجع جدولنا للخطوط القديمة وجه ٥٣٩)

٢) يعلم القرّاء ان ذلك الملك صرف وقتاً طويلاً لزيارة اقاليم مملكته فقد سافر الى نجيمها وبنى فيها بعض المدن واطلق عليها اسمهُ. فمدينة ادرنه مثلاً وهي من اعمال الروميلي الحالية انما سميت Andrinople اي Hadrianopolis اكراماً للملك المذكور

جدول
لبعض الخطوط الشرقية
كما وجدت في الكتابات القديمة

الخط النسخي	الكوفي	العبراني ٨٠٠-٥٠٠ ب.م	السطرنجيلي ٤١١ ب.م	النبطي ٦٠-١ ب.م	التيماني ٥٠٠ ق.م	الفينيقي ٨٩٠ ق.م
ا	ا	א	א	א	א	א
ب	ب	ב	ב	ב	ב	ב
ج	ج	ג	ג	ג	ג	ג
د ذ	د	ד	ד	ד	ד	ד
ه	ه	ה	ה	ה	ה	ה
و	و	ו	ו	ו	ו	ו
ز	ز	ז	ז	ז	ז	ז
ح خ	ح	ח	ח	ח	ח	ח
ط ظ	ط	ט	ט	ט	ט	ט
ي	ي	י	י	י	י	י
ك	ك	כ	כ	כ	כ	כ
ل	ل	ל	ל	ל	ל	ל
م	م	מ	מ	מ	מ	מ
ن	ن	נ	נ	נ	נ	נ
		ס	ס	ס	ס	ס
ع غ	ع	ע	ע	ע	ע	ע
ف	ف	פ	פ	פ	פ	פ
ص ض	ص	צ	צ	צ	צ	צ
ق	ق	ק	ק	ק	ק	ק
ر	ر	ר	ר	ר	ר	ר
س ش	س	ש	ש	ש	ש	ש
ث ت	ت	ת	ת	ת	ת	ת

امّا مضمون الكتابة فهو تعريف ديواني (جمركي) مطوّل مهّب اصدره مجلس شيوخ تدمر حسماً لفتن وقعت بين التجّار ومأموري الخزانة . وقد زادوا على ذلك بعض البنود لرسم توزيع المياه . وخلاصة ما يُذكر في هذا التعريف بيان ما يُضرب من المكوس على البضائع والمعاملات التجاريّة اجمالاً وافراداً . ويتّضح من انشائها ان الحقوق الاميريّة كانت بالغة . فان كلّ حملة جمل او حمار واردة كانت ام صادرة تُضرب عليها اوّلاً ضريبةٌ ثابتة مبلغها ثلاثة دنانير رومانية (والدينار الروماني يساوي وقتئذٍ نحوًا من ٧٢ سنتيماً) ثم فريضة اخرى على اختلاف قيمة البضائع

وعديدة هي السلع الوارد ذكرها في التعريف المنوّه به . فمنها الرقيق (١ ثم الجوز الارجوانيّة والزيوت العطرية المودعة في قمقم من الرخام الابيض (٢ او في ظروف من جلد المعز . ثمّ زيت الزيتون والشحم والملوحات المتنوّعة ثمّ الجلود ثمّ الثياب والاقمشة (٣ ثم الغلال المختلفة والافاويه والاثمار اليابسة كحب الصنوبر والجوز واللوز (٤ ثم العقاقير ثم الخ (٥ الى غير ذلك من ضروب المواد التجاريّة

امّا وحدة الضرائب المكسيّة فكانت الحملة كما هو جارٍ في يومنا . وهي تنقسم

---

١) كان الرقيق في الازمنة القديمة يُعدّ من جملة البضائع . وقد اتّفقت الديانة مع التمدّن في زماننا لإلغاء بيع الرقيق

٢) ولعلّ القارورة التي كسرتها مريم المجدليّة وافاضت طيبها على رأس سيدنا يسوع المسيح لهُ المجد هي من جملة البضائع المشار اليها هنا في تعريف تدمر

٣) ومن عجيب الامر انهُ يوجد في جملة عاديات المتحف الدي فوكويه حجرة نُقشت في تدمر وحُفر عليها صورة شخص يحمل على رأسه قلنسوة تُشبه الطربوش الشرقي . ويتّضح ايضاً من تمثال للعلّامة تقبّ ان اهالي تدمر كانوا يضعون تحت تلك القلنسوة منديلاً (عراقية) رقيقة خفيفة لتنشيف عرق الرأس (راجع V., p. 76).

٤) راجع Schröder : *Sitzungb. d. Preuss. Acad. d. Wiss.* 1884, p. 19 . ولا شك في ان بلاد الشام لاسيما مدينة بيروت المشهورة منذ القدم بغاباتها الصنوبرية كانت تبعث كميّة وافرة من تلك الافاويه الى بلاد الرومان والفرس

٥) كان هذا الملح يُحمل اما من سواحل بحر الروم او من مالح تدمر . وفي براري الشام مالح كثيرة الى يومنا . فلأهالي منطقيّة الزُّور مثلاً مملحةٌ عظيمة في بُحيرة موقعها بالقرب من الفرات . وقد اخبرنا المؤرخون والسيّاح ان الملح كثير الوجود في انحاء تدمر . ففي وادٍ

الى ثلاثة اقسام حُمْلة الحمار وحملة الجمل وحملة العَجَلة . وكان ثقل الاولى نحو مئة كيلو . والثانية اثقل منها بثلاثة اضعاف . اما الثالثة فيبلغ وزنها نحواً من ١٠٠٠ كيلو (١

قال الماركيز دي ڤوكويه . « وكانت القوافل التي تحمل الى تدمر خيرات المشرق تستخدم من الدوابّ الابل والحمير (٢ واذا وصل التجّار الى حاضرة زينب انزلوا عن ظهر الدوابّ الجوالق والاثقال المختلفة وحمّلوها على العَجلات (κάμαξαι) ليوجّهوها الى جميع انحاء المملكة على السكك والشوارع الرومانية . فاذا بحثتَ عن اسباب تقدُّم تدمر وبلوغها الى ذروة العمران وجدت لذلك سببين الاوّل مرور البضائع بها واقامتها فيها مدةً ودفع المكوس الى خزانة المدينة والثاني شهرة اهالي تدمر دون سواهم بقيادة العيرات في مفاوز الصحاري . فلذلك صارت هذه الحاضرة في القرن الثاني المسيح كرفإ عظيم على بحر البراري ترسو عند ساحلها تجارة الامم تُثْغي خزائنها كما جرى في الزمن المتوسط لمدينة البندقيّة سلطانة بحر الروم . . . (٣

بدعى وادي الملح سلحةً واسمة يستخلص اهالي تدمر ملحها ويحملونهُ الى حلب حيث يبادلونهُ بالقمح . (راجع تآليف ابي الفداء وجمنه وبرنوڤيل وغيرهم) وقال قوم ان ذلك الوادي هو المكان الذي انتصر فيهِ الملك داود على جيش السوريين (راجع سفر الملوك الثاني ٨ : ١٣ و Halifax : *Philosophical Iransact. of London*)

١) ان ضيق المكان يمنعنا من الاسهاب في وصف تجارة تدمر مع ما في هذا البحث من واضح الفائدة . فمن رغب في معرفة تفاصيل الامر عليهِ بما ذكرهُ الكتبة الحدثون لاسيما دي ڤوكويه J. A. 188; Z D M G, 188 ونولدك وساخو Z D M G, 1888 وركِنْدرف Z D M G, 1888 . فمن هؤلاء المؤلفين انتبسنا هذه النبذة في تجارة تدمر

٢) وكانت لقوّاد القوافل منزلة رفيعة بين مواطنيهم وهم في عيونهم بثابة قادة الجيوش . ولا غرو لانهُ كان يقتضي على هؤلاء الرؤساء ان يجمعوا مؤونةً كافية لسفر ربما طال اكثر من مدّة شهرين ويجنّدوا رجالاً شاكي السلاح مستعدّين للقتال . واذا شذّوا الرحال كان ينبغي لهم ان يتوقّوا غزوات اهل الوبر بما لديهم من الخبرة بانواع الحيَل . او اذا لم يتمكّنوا من ذلك ان يتجنّبوا مهاجمة تلك القبائل المتلصّصة فيستميلوها ببعض العطايا . او اذا فاجأتهم شرذمة من البدويين أن يردُّوا غارتهم ويشتّتوا شملهم . الى غير ذلك من الامور والحوادث المعروفة عندهم . فلذا كانت وظيفتهم عالية وترى في جملة أخربة تدمر عدّة آثار مخصّصة لذكرهم ومجدهم (راجع V., N° 5)

٣) لا شكّ ان تدمر كانت تحفظ لنفسها قسماً من دخلها السنوي بعد ان تؤدي لرومة الجزية المفروضة عليها

« هذا والكتابة المذكورة جليلة الفائدة في معرفة اخبار تدمر واحوالها الداخلية. ومن قرأها وتأملها فيتخيَّل انَّهُ يحضر تلك الحركة العجيبة من الرجال وقوافل الدوابّ والبضائع ويشاهد عياناً ذلك الاختلاط الغريب من التجار والباعة والنخَّاسين والبزَّازين واصحاب الدواعي والقضاة ويندهش لازدحامهم في رحب شوارع المدينة وساحاتها الواسعة الارجاء. وأروقتها الشاهقة الباهرة التي يتواتر سيَّاح العصر الى نظر آثارها المذهلة

« امَّا وجه التدبير الجاري في ولاية تدمر فلا يظهر باقلّ وضوح من التعريف الذي نحن بصدده. فانهُ يبيّن لنا ان مدينة زينب كان لها في ذلك الزمان مجلس وطني (Senatus) يسنّ السنن ويشرع الشرائع. وهو عبارة عن رئيس وكاتب (١ وعدَّة اعضاء. امَّا السلطة الاجرائية فكانت مسلَّمة الى شيخين (archontes) وديوان متألف من عشرة حكَّام (δεκαπρῶτοι). اما السلطة القضائية فتختصّ ببعض الوكلاء (Syndics) وغيرهم من العمَّال. وزد على كل ذلك افادات تنبئنا عن شأن الشرائع وطريقة وضعها لان التعريف المذكور يشير الى الرسائل التي وجّهها جرمانيقوس وكوربلون (٢ الى بعض مأموري الخزانة في تعيين الفرائض الديوانية وغيرها من امور التجارة. وفي ذكر هذين الرجلين بيان لتاريخ تدمر وضبط عهدهِ لانها توضح لنا ايضاً جلياً ان عاصمة زينب كانت خاضعة للدولة الرومانية منذ ابتداء النصرانية(٣ (ستأتي البقية)

---

١) ومما يتضح من القرائن ان سلطة هذا المجلس كانت عظيمة. الَّا انَّ سنّ الشرائع لم يُفوَّض اليهِ وحده (راجع ركندرف Z D M G, 1888, p. 390)

٢) يعلم القرَّاء ان جرمانيقوس هذا (١٢ ق م – ١٩ ب م) هو الذي تبنَّاهُ طيباريوس قيصر فارسلهُ الى الاقاليم الشرقيَّة لبعض الشؤون فاقتضت عليهِ الاحوال ان يتداخل في امور سورية لمقاومة سوء تصرُّفات پيزون (Pison) الذي كان في ذلك الزمان والياً على بلاد الشام. امَّا كوربلون فكان قائداً في عهد نلوديوس ونيرون وُجّه الى المشرق لمحاربة الفرس فلما انتهى من امرهم رجع الى رومة فلم يلبث الَّا يسيراً من الزمن حتَّى قتلهُ نيرون (٦٧ م)

٣) راجع R. Duval : J. A. 1883, p. 534 و de Vog. : J. A. 1883, p. 180

المكتبخانات

وهي لفظة ارسلها الينا المستشرق الفاضل مرتين هرتمن

كنشلبار فضل المانية سابقاً في بيروت وسلّم اللغات الشرقية حالاً في برلين

انَّ صناعة الطبع حديثة في بلاد المشرق ولا سيَّما في سوريَّة ومع ذلك قد اتت في الازمنة الاخيرة بما لا يحصى من بنات الفكر المُظهَرة من عالم الغيب الى عالم الوجود بواسطة تلك الهنات السوداء التي تُسكب حروفاً ثم تُرتَّب صفوفاً ثم تُتمَّن بالمداد فتزين (ويا ليتها لا تشين) الصَّفحات. ولا يُخفى ما في المطبوعات من الدلائل على ما يشغل ضمير القوم. فترى كلَّ من عنَّ لهُ امرٌ او خطرت على بالهِ غاية من اي جنس كانت يقصد « تعميم فائدتها » فيعمد الى نشرها بلسان ذلك الفنّ العجيب. لحقًّا انَّ صناعة الطبع لوسيلةٌ كبرى نبلغ بها عدداً غفيراً من البشر ما نوينا اذاعتهُ على رأس الملإ. ولذلك لم تلبث الحكومات نفسها التي في اوَّل الامر توهَّمت في هذا الفنّ خطرًا وخشيت منهُ اضطراب الافكار ان تتخذ الطباعة كواسطة لتنفيذ مآربها. وكيفما كان الامر فلا يخفى على كل ذي بصر ما في هذه الصناعة من الخطارة العظمى

هذا وانَّ في محصولات صناعة الطبع اختلافاً من حيث الحجم والفائدة وليس هذان الامران واحداً فانك ربَّما قرأتَ تأليفاً مطوَّلاً ذا صفحات عديدة لا تكاد تجتني منهُ ثمرة وليس هو الَّا تكرار ما سبق طبعهُ. وقد ترى بخلاف ذلك الورقة والورقتين فاذا طالعتهما حصلت على ما لا يُنال بقراءة المجلَّدات الضخمة لما تجد في هذه الصفحات الوجيزة من المعاني المبتكرة والخواطر السنيَّة التي تشحذ الاذهان وتنير البصائر

وعلى كلّ الاحوال لا بُدَّ من جمع كلّ ما يُطبع في بلدٍ ما فيودع في محلّ معلوم اي في مكتبة بها تُصان كلّ ما يُنشر من المطبوعات على اختلاف حجمها واهمّيتها. وكثيرًا ما ظنَّ المعاصرون انَّهُ ليس كبير امر في بعض التآليف فينبذونها واذا اتى رجال العصر القادم لعلّهم يجدون فيها من الاهمية ما لم يَدُر على خلدٍ

وهنا لا يسعنا الَّا الثناء الطيّب على الحكومة المصريَّة التي تنفق لجمع المطبوعات مبالغ وافرة وعيَّنت لادارة مكتبتها الكبرى المعروفة « بالكتبخانة الخديوية » أئمَّة لهم الباع

الطويل في فنّ تدبير المكاتب. وهو فنّ جليل لهُ اعتبار عظيم في بلاد اوربّة ولاربابهِ جرائد ومجلاّت مخصوصة تفيدهم عن كلّ امور المطبوعات وشؤون المكاتب

وكنّا نودّ لو نسمع انّ في الاستانة العلية مكتبةً عمومية مرتبة ترتيباً علميا تجمع مع المخطوطات القديمة جُلّ ما طُبع في الآداب والفنون لا تقتصر فقط على العلوم الدينية كما ترى عدّة مكاتب خصوصية بالاستانة

ثم انّ الدول الاوربية لها قاعدة تُذكر فتشكر وهي انّها لا تكتفي بانشاء مكتبة عمومية في عواصمها بل تعتني باقامة خزانة فكتب في كلّ من ولاياتها. وعليهِ يقتضي ايضاً في الشرق ان تُنشأ مكتبة في كلّ مركز ولاية او لواء مستقلّ واذا تعذّر ذلك على اهل الامر ينبغي ان يُحثّ الاهلون على إحداث مكتبةٍ ويُحمَلون على مساعدة هذا المشروع مساعدةً ماليّة. امّا مكتبة العاصمة فاوّل ما يتحتّم عليها ان تستحضر كلّ ما يعود بالنفع على الجمهور من المطبوعات المفيدة في كلّ فنٍ ثم ان تجمع ما يُطبع في الولايات فتكون هذه المكتبة المركزية مرآةً جليّة لحركة الادبية في البلاد اجمعها

امّا مكاتب الولايات فلا يطلب منها ان تجمع تآليف شاملة لكلّ الفنون فحسبها الاهم منها بيد انّهُ ينبغي عليها ان تُحرز في خزائنها كلّ ما طُبع في انحاء الولاية وما تتعلق بشؤونها الخاصّة

ومن المعلوم انّ جميع مدن اوربّة تفرض على كلّ صاحب مطبعة ان يقدّم نسختين من كلّ ما ينشرهُ بالطبع لا يُستثنى من هذا الحكم سوى الاوراق الشخصية فترسل احدى النسختين الى مكتبة العاصمة والثانية الى كتبخانة الولاية. ولا شطط في هذا المطلوب وهو امرٌ زهيد لا يبخس حقوق المؤلف او صاحب المطبعة فضلاً عمّا يكتسب الكتاب بذلك من الشهرة

وتزيد على ما سبق انّهُ ولو كان الامل الوطيد بان الدولة السنية تقوم بالمشروع الذي نحن بصددهِ فشيءٌ ما لزم انشاؤهُ من الكتبخانات في العاصمة ومراكز الولايات فمع ذلك الأحرى الّا ينتظر الاهلون عمل الحكومة بل يشمّروا باقسهم عن ساعد الجدّ ويبرزوا الامر من القوّة الى الفعل على قدر طاقتهم ولو بقي دون المطلوب مُراعين بذلك المثل القائل: ان لم تقدر على كلّهِ فلا تترك جلّهُ

وان سألت تُرى من يستطيع القيام بهذا المشروع من الخواصّ اجبتُ ان المرجع

في ذلك الى الجمعيات العلمية التي لا بدَّ من تشكيلها في بلادٍ تغصُّ بقوم الفضلاء ذوي الاذهان الجيدة والقرائح الحسنة القابلة لكل عمل شريف. ويكفي ما صرَّح به الاب الفاضل هنري لامنس في نبذته «هيَّا على درس تاريخنا» في العدد السادس من هذه المجلة (ص ٢٦١ الى ٢٦٤) من وجوب اقامة جمعيَّات علمية تبحث عن تاريخ البلاد وعوائدها وآدابها وما يؤول الى معرفة احوالها دينًا ودنيا. وقد ذكر الاب المومأ اليه في المادَّة التاسعة امر انشاء المكاتب في كلّ جمعيَّة. ونستحسن كلّ ما ذكرهُ بهذا الشأن

الَّا اننا نحبُّ ان نستلفت نظر القرَّاء الى مسألةٍ لها اهميَّة عظيمة في اعيننا وفي اعين من تتبَّع الابحاث التاريخية ولا سيَّما ما تعلَّق منها باحوال الامم غير السياسية. وذلك ان تُجمع في المكاتب الاوراق المنثورة والكراريس الصغيرة الحجم التي يغلب عليها رداءة الطبع ورداءة جنس الورق واكثرها بائعة العامَّة يدخلها المخن والكلام المبتذل. فانَّ في هذه الجاميع لفائدةً كبيرة ألا ومنها تُعرف حقيقةً احوال العامَّة وما تكنُّهُ صدورهم من الافكار والاوهام التي كانت اصل تلك الحركات القويَّة المؤدِّية الى ما ادهش العالم من الانقلابات السياسية وربَّما غاب عن العقلاء مصدر هذه الحركات ولو فطنوا لوجدوا انَّ سببها ما انتشر بين ايدي القوم وطبقات الشعب السُّفلى من الكلام المنثور او المنظوم فاثار الاهواء وحرَّك الضغائن

ومثل ذلك ما يُطبع من المقاطيع المبيِّنة لعوائد البلاد كما ترى ذلك خصوصًا في القطر المصري فانَّهم كثيرًا ما ينظمون الازجال يهجون بها من اعتاد السيئات ويرشقون بها المسرفين في بذل المال في سبيل المنكر وغيرهم بخلاف الامر يثنون على هذه العادات القبيحة ويبالغون في التغزليَّات الى غير ذلك من الاقوال الشائعة بين العامَّة المصوِّرة لاحوالهم المبيِّنة لصفاتهم. وزد على ذلك ما تحتويه هذه المطبوعات المخونة من الاشارة الى لهجة العامَّة وفي ذلك منافع جمَّة للابحاث اللغويَّة. وسنفرد لهذا المبحث نبذةً فيما بعد ان شاء الله نبيِّن فيها ما قرَّرتهُ الدول الاوربية لجمع اللهجات المختلفة في كلّ ولاية وما افضى اليه ذلك من النتائج العلمية المهمَّة. ولسوء الحظّ قلَّ من يعرف في الشرق قيمة تلك الاوراق والكراريس الحقيرة الَّا اننا لا نشكُّ انَّ هذه الاشارة تكفي لقرَّاء المجلَّة واللبيب بالاشارة يفهم

البَلَمة او البَلَّامات

للدكتور فابوليون ماريني عرَّجا الاب انستاس الكرملي البغدادي

(لفظها اللغوي) قال القاموس : البَلَمة محرَّكة ورَم الشفَة . وزاد التاج : « وقد أبلَمت شفتُهُ ». اقول والبَلَمة في اصل المعنى غير هذا فراجعها في كتب اصحاب اللغة ولم نَرَ مناسبًا ذكرها هنا . وقد أُطلقت على ورم الشفة من باب المشابهة بين الأعراض . واهل بغداد يخصُّون لفظة البَلَمة بآفة تظهر في التِماثين كما سترى . واكثرهم يذكرونها بصيغة الجمع بزيادة الف بعد اللام المشدَّدة فيقولون بَلَّامات تمييزًا لها من البَلَمات لنوع من الزوارق مستطيلة الشكل معروفة عندهم

(أسبابها) البَلَمة او البلأمات داء أحيائي (١ مُعدٍ وافدٌ ناشٍ بين البالغين فُشوَّهُ بين الأطفال . امَّا ذرائع عدواه فهي أدوات الشرب والطعام والتقبيل . وعاملُ العدوى اللُّعاب المحتوي على مَصْليَّة تُغرزها الآفة الوضعية . وهذه المصليَّة بما فيها من الأحيَاء تنقل المرض الى الغير

وكل الناس عُرْضَةٌ لقبول العدوى غير انَّها لا تتمكَّن الَّا في الذين يُرَى فيهم استعداد

---

١) الأحيَاء جمع مكسر مصغر للحيّ والمعنى فيه ظاهر لكل ذي عينين وهو كلّ صغير الجسم ويُراد بذلك الجُيَيْرِيْنات * التي تسبّب او تنقل العدوى في الامراض المُعْدية وهو معنى اسم المكروب الافرنجي (Microbe) وهي لفظة مركبة من (μικρος) اي صغير و (βιος) اي حياة ومحصل معناها الحيّ الصغير او الحُيَيّ . ولا يمكننا ان نفهم كيف ان كتبة العربية الحدثين ادخلوا هذه اللفظة الاعجمية مع انَّهم في مندوحة عن ذلك . فضلًا عن صعوبة الوقوف على معناها والعربية في غنًى عن مثل هذه الالفاظ بما يوجد مؤدًّى معناها فيها . ونظنُّ ان سبب تهافتهم على التقاط هذه الكلمة هو اخذهم اياها عن مجلة علمية عربية سبقت سائر المجلَّات او الجرائد العلمية العربية في ذكر هذا الاسم . ولمَّا كان الناس مفطورين على حبّ الجديد والغريب اندفعوا الى اتخاذ هذه اللفظة تظاهرًا بمعرفة العلم الحديث واسراره ومصطلحاته وتمويهًا على الأغرار السُّذَّج فالاحسن اذًا على ما أرى ان نستعمل بالعربية ما يؤدي معنى اللفظة الدخيلة ويفسرها تفسيرًا جليًّا واضحًا

* (المشرق) : قد تقرَّر اليوم انَّ الباشلوس او المكروب ليست جُيَيْرِيْنات بل جراثيم آليَّة كالقطر

لذلك ومن هؤلاء الناس المبرُودون (١ والمسالع (٢ وكل من فقدت بنيتهُ قوَّة الدماغ العضوي عن الأدواء إثر الذَّقَّه من مَرَض أضعَفَ الدم الخ . والمسيو لومتر (Lemaistre) يسمّي حُبَيَّ هذا المرض السُّبَيحيات (٣ تظهر بهيئة ثُنائية الحبيبة (٤ او بهيئة سلاسل مستطيلة . اما المسيو ريمون (Raymond) فلا يرتاي رأيه بل يذهب الى انهُ من العنقوديات الحبية الشمية البيضاء (٥

(دلائلها) ان معرفة البلمة على ما هي اليوم حديثة . ولم يذكرها الاطباء في كتبهم ولا يُعثَرُ على ما ذكرهُ اطباء الامراض الجلدية الّا بشقّ النفس . وقد وصفها للمرَّة الاولى المسيو لومتر المنوَّه به آنفًا سنة ١٨٨٦ فقد لاحظ هذا النطاسي الخبير في مدارس ليوج في ذلك العهد وافدةً حقيقيةً تمتدّ الى ضواحي المدينة المجاورة . أفهذا يدفعنا الى ان نقول بأن تلك الآفة دخلت فرنسة حديثًا ولم تكن معروفة في تلك البلاد قبل سنة ١٨٨٦ فهذا ما لا يذهب اليهِ المسيو لومتر لان مُجَرَّبات ارض ليوج كُنَّ يعرفن هذه العاهة وكنَّ يُوصين بعض الأنبتة للشفاء منها . ولم تستلفت أنظار الأساة لانها لم تكن من العاهات الفاتكة بالخلائق بل هي محدودة العاقبة وربَّما شُفيَت من ذاتها

ومهما كان من حقيقة امرها فمن المفيد ان نعرّفها حقّ المعرفة لانها تسبب بعض الاحيان عراقيل في الامراض وايضًا اجتنابًا من خلطها بعاهات اخرى أسوأ منها مغبَّةً

ولا حاجة للقول باننا اوّل من تكلم عن هذه العلَّة في لغتنا العربية لاننا لم نعثر على شيء من هذا القبيل في كتب الطب من اصحاب هذه اللغة الشريفة

وتُعرَف البلمة بشقّ غِشائيّ بَشَزِيّ ذاهبًا من الصماغين وممتدًّا الى بشرة الخدَّين واسمها بالفرنسية آفة اللَّطْع (Perlèche) وسميت كذلك لانها تسبب حرقةً تدفع صاحب العاهة الى ان يلطع شفتيه دائمًا . قال ريمون المذكور آنفًا : « انَّ هذه الآفة تبتدئ بتغير

---

١) المراد بالمبرودين الليسفاريون او البانسيون وقد استعملها العرب بهذا المعنى في كتبهم وقد أكثر من ذكر هذه اللفظة بهذا المعنى ابنُ البيطار

٢) جمع سلوع وهم الخنازيريُّون

٣) السبحيات تصغير سُبحَة مجموعة (هكذا) وهي معنى اسم استرَبْتُوكُوكُوس (Streptococcus) وهي ضرب من الدُّوَيرات أُخذ اسمها من تجمعها على شكل سبحة

٤) معنى اللفظة الافرنجيَّة (Diplocoques)

٥) معنى الالفاظ الفرنجية (Staphylococcus cereus albus)

في بَشرَة الصامغين(١ فتندو بيضاء وترتفع ارتفاعاً متفاوتاً بدون ان يكون فيها حُوَيصلات حقيقية فهي ضرب من الغِشاء الرقيق الضارب الى البياض بارز متثنٍ حاصل من تهرُّؤ البشَرة يُرى في الصمغين. والبشرة في ذلك المكان مُتَورِّمة مقيدة الحركة ناهدة. ثم ان الآفة تنتشر الى ما فوق والى ما تحت الصَّامغَين الى مسافة تتغيَّر بين ملمتر واحدٍ (اي اعرض من الشعرة بقليل) الى بين نصف سنتيمتر من فوقُ كما من تحتُ كأنَّ هذه العلَّة التي لا تقبل الإسفاف في نفسها (٢ تهجم على جهتي الصامغين القريبتين منها. فيسهل سقوط البشرة كأنها تَنحلُّ عن غراه. واذا سقطت البشرة بانت الأدَمة مُمرَّاة. ثم تأخذ الآفة بالتقدّم إن في السطح وان في العمق. ثم يناجنها شقّ معهدهُ ثِنيَةُ الصمغتين نفسها. وقد يكون هذا الشقّ وحيداً واغلب الاحيان يكون شقَّين او ثلاثة شقوق فوق الشقّ الاصلي وتحتهُ. وهذه الشقوق تكون حينئذٍ اقلّ غوراً من الشقّ الاصلي ثم تمتدّ الآفة الى حافة الشفتين لكنها لا تتعدَّى ابداً ثلاثة ارباع السنتيمتر من ثِنية الصماغين وتُفضِّل البَلَمة امتدادها الى جهة الوجه الجلدية من الشفة على جهة الغشاء المخاطي وربَّما أُصيب الغشاء المخاطيّ نفسه بهذه العلَّة وفي كثيرين من الوُلد يُرى في الشدق في جهة باطن الصامغين نُتوءات صغيرة بَشريَّة ضاربة الى البياض. ومن المعهود في هذه الآفة ان مجلسها الصماغان وربما كانت في جهةٍ واحدةٍ من ملتقى الشفتين. وعلى كل حالٍ ان اشتدَّت وان ضعفت تكون في درجة واحدة في الصامغين من شدّةٍ او ضعفٍ بدون ان تقوى الجهة الواحدة على الجهة الاخرى وهذا في اغلب الاصابات». انتهى كلامه

وهذه الآفة لا تؤلم الَّا شذوذاً بل هي متعبة مزعجة تمنع صاحبها من فتح الفم المقيَّد الحركة وتبقى الشفتان يابستين محرقتين. وهذا ما يدفع المصاب بهـا الى بلها بدون انقطاع وحينما يكون الشقّ غائراً يحدث عند فتح الشفتين تريف طفيف وفي الليل يملو الحلّ المصاب قشور صغيرة محاطة بهالةٍ التهابية ضاربة الى الحمرة ونادراً يحدث اكتظاظ الغُدُد التي تقابلها

---

١) الصامغان او الصِّمغان او الصَّمغتان او الصماغان او الصامغتان شيء واحد وهما جانبا الفم اي ملتقى الشفتين وما يلي الشدقين (راجع التاج)

٢) يقال أسَفَّ الجرح دواء اذا ادخلهُ فيه. ويُعرَّف الإسفاف عند العامَّة بالتطعيم او التلقيح

فهذه هي فصول البلسة المميّزة العامّة . وقد تتقاصُ اعراض هذه العلّة بما يشاركها من الامراض فتظهر حينئذٍ بمظهر يختلف عمّا سبق ذكرهُ فقد تجتمع مع النضح (١ والتهاب الشدق (Stomatite) والخناق والداء الزُهَري (٢ وتشتدُّ وطأتها في الخناق وتظهر حينئذٍ بهيئة طبقات صغيرة تتجمّع على غشاء الخدّين المخاطي وعلى اللسان او على طريق الهضم . واتفاق التهاب الشدق والنضح مع البلسة ليس نادرًا . وفي اغلب الاحيان يجهل وجودها الاطباء لاختفائها تحت ستر هذا الاتفاق فتتوارى عن ابصارهم

وقد رأيت في بيروت مدّة إقامتي فيها طلبًا للطب في المكتب الفرنسي العامر بعض إصابات في الاولاد وبالاخصّ في طلبة المدارس . وفي بيروت كما في سائر البلدان لا يكترث بها الاهلون

اما في بغداد فالبَلَسة فيها مشهورة اكثر من اشتهارها في بيروت واكثر منها انتشارًا وقد رأيتها بالخصوص في البالغين اكثر ممّا رأيتها في الاولاد

ومن الظاهر ان اصحاب الحَرَض (٣ ذوو استعداد مناسب لظهور هذه العلّة فيهم . واذا بانت فيهم احبّت الاقامة عندهم فمن اللازم اذًا على الطبيب ان يفتّش عن الحَرَض في البالغين اصحاب البلسة ليتيسّر لهُ شفاؤهم بمعالجة حَرَضهم اوّلًا لتغيير مياهة الداء ثمّ ينتقل بعد ذلك الى تطبيب العلة

---

١) النَضح هو اسم عندنا للعلة المعروفة عند الافرنج بالامبتيكو (Impétigo) ومن المعلوم عند اللغويين ان استعمال كلمة عربية عامّيّة اصطلاحيّة خير من إدخال لفظة اعجمية في العربية لان المولّد من اللغة ليس الّا العاميّ اتفق على اتخاذه ادباء القرن ولغويّوهُ (طالع المزهر للسيوطي الصفحة ١٤٥ وما يليها من الجزء الاوّل)

٢) واخطأ من قال الزُهَري بفتح الاول وأسكان الثاني

٣) الحَرَض لغةً مصدر حَرِض بحرض قال القاموس . الحَرَض (محرّكة) الفساد في البَدَن وفي المذهب وفي العقل (اه). والمراد بهِ هنا الفساد في البَدَن تقريبًا للفظة (Arthritisme) وفساد البدن في اغلب الأوقات يكون من فساد في المعدة او من بطوء تحويل الغذاء الى جوهر بدن الانسان . قال صاحب التاج في حَرِضَ : وحرض الرجل فسدت معدتهُ (اه) . ومن لا يعلم بانّ من فساد المدة ينشأ ايضًا فساد البدن . ومن فساد البدن قد يفسد في بعض الاحيان المذهب والعقل . اما معنى اللفظة الافرنسية (Arthritisme) فقد قال احد علماء الافرنج ما معناه بحرفيّتهِ : الحَرَض حالة في البنية ناشئة عن بُطوء الاغتذاء يتولّد منها القرس والحصاة والبُوَال والرَبالة والمَغَصُ الكبديّ والرئيسة وبعض الامراض الجلدية

ويظهر لي ان في فصول السنة شيئاً من التأثير في اثارة هذه الرافدة فانَّ البلة تظهر على الأخص في الربيع وفي اشتداد الحرّ ولعلّ سبب ذلك ما يفعلهُ الهواء في تفريخ الأحياء مُولّداتِ الامراض. وفي حمارَّة الحرّ يغلب على الناس معاودة الشرب فيجرعون من الماء ما طاب وما خَبُثَ وبإناء نظف أو قذر وكني بذلك عاملاً نقّالاً للعدوى وللأمراض

وقد يتلوّن الماء نفسهُ بالذُرَيرات (المكروكوكس) المَرَضيَّة. قال المسيو لومتر في هذا الصدد: «انَّ في المياه الراكدة والينابيع والبئار الآجنة الماء تعيش فيه هذه العُضويات بهيئة ذُرَيرات فُستقي بالدلاء او الجرار وتحمل الى المطابخ فتنمو في هوائها الحارّ وتتشكّل باشكال السلاسل. فهي هناك في أحسن بيئة من النموّ لانَّ هذه الاواني لا تُغسل ابداً غسلاً حسناً

«اما الاقداح الخشبية الدائمة النداوة فلا تخلو من ان تكون مثاوى وبها يشرب الضيف وكل اهل البيت فيصبح القَدَح آلة تنقل الى شفتي الطفل او البالغ حُمّيَّ المرض واذا كان الشارب ممَّن بهم البلة فيودع القدحَ أحياءً على أحياء ومنهُ ينتقل الى القَدَس او السطل ومنهُ الى مُستقي الماء.» اه

ونُشوء البلة سريع ومدّتها من اسبوعين الى ستة اسابيع وحينئذٍ تبتدئ في ان تشفى من ذاتها وتُبقي بعد الشفاء نَدَبَةً بيضاء صقيلة لمّاعة خاصّة بها وتبقى كذلك مدّة اشهُر والعلّة ليست مُعضلةً ما لم يجتمع معها علة أُخرى

(تشخيصها) وكيف تُميَّز البلة من سائر الامراض التي تشبهها وتهجم على الصامتين؟ فتميزها عن العُقَيْبُل الشفوي (Herpès labialis) بان فصول هذه هي حويصلات تاتئة متجمّعة يخلفها تقرّح كثير الدوائر. ومن النضح بانَّ علاماتهِ طبقات متقشرة اكثر ما تكون بهيئة شقّ. ومن القوباء القشرية الناقطة المستديرة(١ بان مدّتها اطول من مدّة البلة. واما التهاب الشدق الشبيه بالخناق (Stomatite diphtéroïde) الذي مجلسهُ الشفتان والصماخان فيشخَّص بالبحث عنهُ بحثاً مجهريًّا وبالاستنبات او الاستفراخ

ومن احسن ما جاء في هذا الباب ما قالهُ المسيو بلانش (R. Planche) في

---

١) وهي القوباء ذات النقط المماة ايضاً بالقُوَباء الحبية والقوباء القشرية او الاكزيما

أطروحته الاستفتاحية الغرّاء (١ ويكون التشخيص صعباً بل معتصياً عند ما يحاول الطبيب تمييز البلسة من الصفائح المخاطية (Plaques muqueuses) . فاذا ركن الى مبادئ التشخيص التي اتى بها المؤلفون للفصل بين هاتين العلّتين يُصبح متحيّرًا. فقد قال المسيو كومبي (Comby) : ان الفرق الفاصل الذي يُعتمد عليه قائم على تغايرٍ في اللون اذ لون الصفيحة المخاطية ضارب الى البنفسجية . واما المسيو كيبر (Guibert) فانهُ يميز البلسة من الصفائح المخاطية الصماغية بجلاسها الضيق وغورها من الشقوق الغائرة وعمر المصابين بها . فهذه كلها تفاوتات بسيطة لا يُركن اليها اذا اراد الطبيب ان يحسم مسئلة هذه اهميتها . وعليه فيتحتّم علينا ان نُقرّ بانهُ لا يوجد علامة فاصلة تمكننا من تمييز البلسة من الصفائح المخاطية وهذا ايضاً راي المسيو فورنيه (Fournier)

لكن في بعض الامور والاحوال الطبية الشرعية يلتزم الطبيب في ابداء رأيهِ من قبيل طبيعة العلة فعلى اي علاماتٍ يستند ؟ فاعلم هدانا الله واياك ان الصفائح المخاطية قلما تكون وحدها . وهي في اغلب الاحيان من آثار الداء الزُهري . ولهذا يكون معها دلائل اخرى لا بدّ من وجودها وتمييزها من البلسة فعلى الطبيب الشرعي ان ينقب عنها . فمنها اثر البثرة الصلبة الاولية (Chancre primitif) وصفائح اخرى مخاطية تُرى في أرجاء مختلفة والحميرا الحفيفة والهزال والصداع وداء الثعلب . فاذا لم تكن واحدة من هذه العلامات مع الصفائح المخاطية حُكم بوجود البلسة

(معالجتها) احسن واسطة عندي ان تُعتمد البلسة بمُلَيّن من الزنجارة (٢ مرة كل يوم الى ان يتمّ الشفاء . وقد اوصى المسيو بُرُوك (Brocq) الاغتسال بمحاول مُضادّ للتعفّن مهما كان والتضمّد بأمّ الأدهان (٣ مُداف فيها شيء من البَرْوَق

وقبل هذا يجب ان يُعزَل المريض ويُحظر عليهِ دخول المدرسة والاختلاط مع بقية الاولاد ولئم الغير ان كانوا من اهل بيته او من غيرهم وان يُعزل لهُ ما يحتاج اليهِ من الاثاث والادوات وغير ذلك مما هو من بابه

---

١) الاطروحة المسئلة تطرحها (التاج) ويُراد بها اليوم مسئلة يطرحها اصحاب المدارس على طلبتهم ليعجموا بها عودهم ويستقصوا بها مترائبهم من العلم وهي المسماة عند الافرنج (Thèse)

٢) الزنجارة عندنا هي المسماة عند العرب باسم الزاج الازرق او الزاج القبرسي والمعروفة عند معاصرينا بكبريتات النحاس ٣) هو اسم يُطلق مستقطَر النفط الاميركي المعروف بالغازلين وسمي كذلك لان الادهان تتّخذ منها

ارتفاع ساحل سوريَّة

للاب غدفريد زُمُرفن مدرّس الطبيعيّات في كليّة القديس يوسف

قد بيّنّا في نبذة سابقة (المشرق ص٣٩٦) انّ ساحل بيروت لا يزال يرتفع مع الزمان وغايتنا اليوم ان نثبت ذلك عن سواحل سوريَّة جمعاء.

قد اجمع الجيولوجيُّون انّ ساحل سوريَّة اصاب الهيئة التي هو عليها اليوم في الطور الرابع لتركيب الارض. فمنذ بدء ذلك العهد اخذ الساحل يعلو شيئًا فشيئًا على طريقة ثابتة في مدّة القرون التاريخية. والبراهين على ذلك عديدة اختصرناها كما سترى

١ (يافا) ان العالمَين الشهيرَين لَرتَه (١ وهول (٢ قد فحصا البطحاء الممتدّة من وراء يافا فاستدلّا على امتداد البحر الى لُدّ ورملة. وذلك انّ تركيب هذه السهول من الرمل المحمرّ المختلط بالحصباء. واذا اقتربتَ من الرملة وجدت ان الارض المجاورة لها تتكوّن من الحصى المستدير الشكل وهو متلبّد ذو أحجام مختلفة ومن ثمّ جمع المسيو لَرتَه انواعًا من الاصداف التي لا تزال الى يومنا تُكتشف في بحر الشام كالاصناف المدعوّة عند العلماء (Murex و Purpura hemastoma Lam. و Pectunculus violascens Lam. brandaris Lin.) فينتج من هذه الملاحظات انّ ما احاط يافا من السهول كانت تغمرهُ مياهُ البحر سابقًا فارتفعت هذه الاراضي مع الزمان وانسحبت عنها المياه.

وزد على ذلك انّ التاريخ يذكر ليافا مرفأً حسنًا كانت ترسو فيهِ بأمن سفن تَرْشيش ولا يجهل اليوم احد انّ هذه البلدة في اسوإ حال من هذا القبيل تساورها الرياح من كلّ جانب فلا تستطيع السفن ان تقترب من ساحلها لما يحيط بهِ من الصخور العديدة المرتفعة فوق سطح المياه. هذا وان القعر ليس بعميق كثيرًا ما تمسُّهُ مجاذيف البحريين. فتُرى ما يكون سبب ذلك أليس ارتفاع الساحل؟. وقد ارتأى المسيو فراس ان المرفأ القديم كان في شمالي يافا في وسط السهول المكتنفة بالبلدة (٣

---

١) راجع Lartet : *Exploration de la mer Morte*, III, p. 170

٢) Hull : *Memoir of the Geology and Geography of the Palestine*, p, 65

٣) راجع Fraas : *Aus dem Orient*, p. 45

٢ (صور) كانت صور قاعدة بلاد فينيقية سابقًا مبنيَّة في جزيرة مستطيلة قليلة العرض يحجزها عن البرّ مسافة اربع غلوات (٧٢٠ متر). واليوم ترى البلدة متَّصلةً بالبرّ لا يكاد يبقى اثر لمرافئها الشهيرة حيث كانت تقيم عمارة صور في القرون القديمة. وما كان محفورًا من هذه المرافئ القديمة تراهُ الآن مغطًّى بالرمال وغيرها. ولا سبيل الى القول انَّ آثار السدّ الذي بناهُ الاسكندر بين الجزيرة والبرّ هي التي طمَّت المرفأ وسدَّتهُ لانَّ الصخور المرتفعة حتى سطح الماء هي المانعة لسير المراكب فيها. وقد تحقَّق الموسيو تيوبلد فيشر انَّ المحلّ الذي فيه اليوم موقع بيوت البلدة كان في القرن الماضي بحرًا وصار الساحل حيث كانت ترسو السفن سابقًا (١

٣ (عتيه) عند عتيه بين صيداء وبرك التلّ صخور مرتفعة مشرفة على البحر يسفحها تموج امواجهُ وهي مركَّبة من المواد الكلسية المبيَّضة ذات الطبقات يعلوها مجموع من الحصباء المستديرة المتوسّطة الحجم المتكتّلة هذا ومع كوني لم ألحظ فيها اصدافًا بحريَّة لا اشكّ ان البحر كان يغطّيها في سالف الزمان فارتفعت الآن ارتفاعًا يذكر

وكذا قل عن السهل الممتدّ منبسطًا بين نهر الزهراني وصيداء وفيه كلّ ملامح ساحل قديم البحر

٤ (صيداء القديمة) قد ارتفع ايضًا ساحلها. وقد تبيَّن ذلك الموسيو لرته بفحص احواض مرفإ صيداء الحديثة فوجد قعره قليل العُمق بحيث لا تستطيع السفن ان ترسو عنده كما في السابق

ثمَّ يوجد تجاه صيداء كما يوجد امام صور وطرابلس جزائر صغيرة مركَّبة من الرمل والاصداف المتلبّدة اللاصقة بعضها. وقد كانت هذه الجزائر مغمورة بعباب البحر فارتفاع الساحل اضحت اليوم خافيةً فوق المياه خطرةً للملاّحين

هذا ونعلم انَّ كثيرًا من المرافئ القديمة كان يطمرها اصحابها بالحجارة منعًا لمرور سفن الاعداء. غير انَّ ذلك لا يكفي لبيان قلَّة غور البحر في اماكن كثيرة لولا انَّ الساحل يرتفع ارتفاعًا متتابعًا كما بيَّنَّا

وان قال قائل ان مرافئ الاقدمين لم تُبْنَ كمرافئنا الحديثة وانما كان قعرها قليل العُمق لصغر سفن ذلك الزمان أجبنا انَّ ما كان لمرافئ فينيقية من الشهرة لا يتحقَّق البتَّة في ما

(١ Fischer: *Küstenveranderungen im Mittelmeergebiete*

بقي من آثارها اليوم فلا بُدّ اذًا ان يقال انهُ حدث فيها تغيير في نفس تركيبها

٥ (بيروت) انّ ما ذكرناهُ سابقًا (ص ٣٩٦) عن ساحل بيروت وما جاورهـا تكافي لبيان قضيتنـا. قال روسّيغر (Russeger) احد علماء الجيولوجية: «لا يتردّد الجيولوجيون في القول بنقص غَوْر مياه البحر في بيروت وهم يرتأون انّ الاراضي المجاورة لمصبّ نهر الكلب كانت قديمًا مرفأ للسفن. هذا وانّ آثار امواج البحر في الصخور المرتفعة دليل على ذلك كما ترى ايضًا مرابط للمراكب منقورة في الصخر المتعالي». وقد زدتُ على هذه البراهين ما اكتشفتهُ من الاصداف البحريّة اللاصقة في الصخور فعليك بالمراجعة

وهنـا لا يسعنا ان نضرب صفحًا عن زعم بعض المحدثين الذين غالوا في بيان قضيّة ارتفاع الساحل فذكروا انّ السُّفُن كانت تخر مياه نهر الكلب في قديم الزمان. وهو قول يخلو من الصحّة سندوهُ الى بعض اقوال اسطرابون في كتاب جغرافيته (الجزء السادس عشر العدد ١١ و١٦) واسطرابون يتكلم هناك عن اهل ارواد لمّا كانوا يقطعون بسفنهم نهرًا آخر موقعهُ وراء لبنان اسمهُ باليونانية لوكوس (Λύκος) وكذا يسمّى فيها نهر الكلب

امّا ارتفاع الساحل من نهر ابرهيم الى جُبيل فبيّن في عدّة اماكن من سيف البحر حيث ترى فوق سطحهِ في علوّ ستة امتار الى عشرة صخورًا متركبة من الاصداف البحريّة وهذا دليل صادق على انّها كانت سابقًا تحت مياه البحر فأخلاها بتوالي الاجيال

٦ (جُبيل) قد بُنيت جبيل فوق طبقة من حصى البحر المتلاصق ببعضهِ حتى اضحى صلدًا شبيهًا بالصخور وربّما اتُّخذت منها حجارة للبناء. وعلى مثل هذه الحجارة بُني البرج الكبير فلا يبقى بعد ذلك محلٌّ للشكّ في انّ ساحل جبيل ارتفع على طول امتداده. ولا ننكر انّ ما رسب بعد جريان مياه الأنهار والسهول قد زاد ايضًا في هذا الارتفاع بعض الزيادة

٧ (البترون) امامها سهلٌ نعلّل وجودهُ بذات العلل المذكورة آنفًا اعني ارتفاع الساحل ورواسب مياه نهر الجوز

٨ (الاسكندرونة) قد لاحظ العلماء انّ ساحلها لا يزال يتّسع عرضًا فيرتفع قعر البحر وما رسب فيهِ وتنسحب المياه هابطة

وقد زعم العلاّمة دينر[1] انّ في سنة ٤٢ قبل المسيح كان يتّصل البحر بطرسوس وانّ

[1] راجع Diener: *Libanon*, p. 100

هذه المدينة لم تَعُد ساحليّةً في أيّام بلين الطبيعي وانّ البحر لم يزل في هبوط والساحل في تصاعد حتى صارت اليوم على نيّف وثلاثة اميال من البحر . واستشهد المسيو دينر لتأييد رأيهِ بقول المؤرّخ پلُوترك اذ قال ان الملكة كلاوپترة ركبت البحر من الاسكندريّة الى طرسوس لتجتمع بانطوان القائد

(قلتُ) اني راجعت النصَّ المستشهَد بهِ في تاريخ پلُوترك فلم اجد في قرينة الكلام داعياً لتفسيرهِ كما فعل المسيو دينر . فضلًا عن انَّ الكاتب يذكر هناك صريحًا انَّ كلاوپترة ركبت نهر السدنوس صاعدة على فلكٍ وهذا نصُّ المؤرّخ :

Ὥστε πλεῖν ἀνὰ τὸν Κύδνον ποταμὸν ἐν πορθμείῳ χρυσοπρύμνῳ .... Τῶν δὲ ἀνθρώπων οἱ μὲν εὐθὺς ἀπὸ τοῦ ποταμοῦ παρωμάρτουν ἐκατέρωθεν, οἱ δὲ ἀπὸ τῆς πόλεως κατέβαινον ἐπὶ τὴν θέαν (Plutarque, *Antoine* ,XXVI)

فينتج ممَّا تقدَّم ان ساحل سوريَّة على طول مداهُ قد ارتفع في الازمنة التاريخية . وانَّ ذلك يظهر خصوصًا من ترب غَوْر المياه في المرافئ القديمة كيافا وصور وصيداء وطرابلس ومن الرواسب البحريَّة التي نراها الآن مرتفعةً فوق سطح البحر والله اعلم

غريغوريوس ابو الفرج المعروف بابن العبري

الاب لويس شيخو اليسوعي

(تابع لما قبل)

٥ كتبهُ الطبيَّة

قد مرَّ انَّ ابن العبريّ كان راسخ القدم في فنّ الطبّ يعدُّهُ معاصروهُ حكيمًا نطاسيًّا من احذق اطباء عصرهِ وقد بيَّنَّا ما نالهُ لذلك عند الوجوه والاعيان لاسيَّما ملوك التتار من الحفاوة والاكرام . بيد انَّهُ لم يكتفِ بمزاولة هذه الصناعة الشريفة التي عليها يتوقَّف اعتدال الامزجة وقوام الابدان بل احبَّ ان يفيد آل عصره بتآليفهِ الطبيَّة ويورث السلف ميراثًا حسنًا اكتسبهُ بحذقهِ وخبرتهِ

وهذا الارث الجليل عبارة عن شروح وتلخيصات وترجمات وتآليف خاصَّة . فلابن

العبري شرحان مهمّان الاوّل شرح فصول (Aphorismi) بُقراط . وكان كتاب هذا الحكيم الملقّب بابي الطبّ يُعدّ في سالف الاعصار كأنجد العلوم الطبّية ومدخلها فدأق عليه كثيرٌ من الاطبّاء شروحاً مطوّلة . وتفسير ابن العبري كان ادق نظراً واصوب مقالاً ممّن تقدّمهُ صنّفهُ المؤلف بالعربية وهو اليوم اعزّ من التُراب الاعظم لم نعثر عليه في المكاتب الاوربيّة او الشرقية (١ . والشرح الثاني وضعهُ ابن العبريّ في السريانية على كتاب طاز الشهرة بين العرب وهو كتاب حنين بن اسحق المتطبّب النصراني المتوفّى سنة ٨٧٨ مسيح . فبلغ ابو الفرج في شرحه الى باب الترياق وهو نحو ثلثيه فصدّهُ الموت عن اتمامه . وهذا الشرح ايضاً عزيز الوجود لعلّهُ هو الموصوف في قائمة كتب باريس الخطّية (تحت عدد ٢٨٦٣) . وقد نسب ايضاً بعض المحدثين كوستنفلد (٢ وفنريخ (٣ ورايت (٤ ولوكلار (٥ شرحاً لابي الفرج على كتابي جالينوس في المزاج والعناصر وذلك سهوٌ فانّ هؤلاء الكتبة لم يميّزوا بين ابي الفرج بن العبريّ وابي الفرج بن القفّ وابي الفرج عبدالله بن الطيّب (راجع ص ٢٩٢) فعزوا تأليف الواحد الى الآخر مغترّين بتشابه الاسماء .

ونقل ابن العبري الى السريانية كتابين في الطبّ احدهما كتاب ديوسقوريدس اليوناني في المفردات الطبيّة (Περὶ ὕλης ἰατρικῆς) وفيه صور النباتات وتعريف خواصّها ومنافعها . والآخر كتاب قانون الشيخ الرئيس ابن سينا في الطبّ الّا انّهُ لم ينجزهُ

وقد لخّص ايضاً كتاب ديوسقوريدس المذكور فجمع في جلد صغير الحجم جملاً ما تضمّنهُ . ومن مختصاته المفيدة كتاب مختصر الادوية المفردة . واصلهُ تأليف نفيس في ثلاثة مجلدات وضعهُ ابو جعفر احمد بن محمّد الغافقي من اعيان الاندلس (٦ استقصى فيه ما ذكرهُ ديوسقوريدس وجالينوس وغيرهما فاخذ ابن العبري زبدتهُ واختصرهُ اختصاراً حسناً

---

١) قد انكر العلّامة شتينشنيدر (Steinschneider : *d. arab. Uebersetz. a. d. Griech.*, p. 388) انّ ابا الفرج بن العبري صنّف شرحاً على فصول بقراط . والامر لا شكّ فيه كما يؤخذ ذلك من جدول كتب ابن العبري لاخيه برصوما صائغ (Chronic. III, 479)

٢) Wüstenfeld : *Gesch. d. arab. Aerzte*, n° 240

٣) Wenrich : *de auct. Græc. Versionibus*, p. 242 et 270

٤) Wright : *Syriac Literature*, p. 272

٥) Leclerc : *Hist. de la Médecine arabe* II, 149

٦) راجع الجزء الثاني من كتاب طبقات الاطبّاء لابن ابي اُصيبعة ص ٥٢

ومن تآليف ابن العبري الخاصة في الطبّ كتابٌ لهُ عربيّ اللهجة واسع الابواب كثير المنافع جمع فيهِ كلّ آراء الاطباء في الموادّ الطبيّة ذُكر في جدول اعمالهِ ولم يُبيّن لهُ اسمٌ خصوصي . وقد صنّف ايضاً كتاباً آخر بالعربية في الطبّ شبّه اسمهُ على السمعاني في المكتبة الشرقية (الجزء الثاني ص ٢٦٨ في الحاشية) فدعاهُ كتاب فائدة المكسب (ܟܬܒܐ ܕܦܐܕܐ ܕܒܐܣܒ ܣܒܘܬܐ) والصواب كما جاء في نسخ حسنة الضبط (١: كتاب منافع اعضاء الجسد (ܟܬܒܐ ܕܦܐܕܐ ܕܒܐܣܒ ܐܒܘܬܐ ܕܦܓܪܐ) . واغلب هذه الكتب الطبيّة قد استولت عليها يدُ الضياع فقُقدت

٦ الكتب النحويّة واللغويّة

انّ ابن العبري لإمام النحويين السريان بلا منازعة أنسى من تقدّمهُ بهذا الفنّ كيعقوب الرهاوي (المتوفّى سنة ٥٨٠ م) والياس الطيرهاني (١٠٤٩ م) وساويرو بن ساكو الكريتي (١٢٤١ م) ومعاصره يوحنّا بن زُعبي فصار اليهِ المرجع وعليهِ المعوّل في هذا العلم دون سواهُ . والحقّ يقال انهُ لم يدع مطلباً الّا استوعب شرح اصولهِ ومبحثاً الّا استوفى ذكر فصولهِ . وما خُصّ بهِ ابن العبري في تآليفهِ النحويّة انهُ حذا مثال العرب واستنهج سبيلهم في ما كتبوهُ عن آداب لغتهم وقد اتمّ خصوصاً بكتاب المفصّل (٢ لجار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٤ م) وكان وتتذ هذا التأليف عمدة العرب في النحو وفيهِ قيل :

مُفصّلُ جار الله في الحُسن غايةٌ والفاظهُ فيهِ كدُرٍّ مفصّلِ
ولولا التُقى قلتُ المفصّل مُعجزٌ كآيٍ طوالٍ من طوالِ المُفصّلِ

قسّم ابن العبري كتبهُ النحويّة كالزمخشري الى اربعة اقسام بحث فيها عن الاسماء والافعال والحروف والمشترك من احوال الثلاثة وكان نحاة السريان يقسمونها قبله على طريقة اليونان الى سبعة اقسام . وقد اخذ ايضاً عن العرب كثيرًا من اصطلاحاتهم فجلا الحقيقة عن عدّة امور التبست على مَن تقدّمهُ من نحاة السريان لقصر باعهم في معرفة آداب العرب مع انّ بين اللغتين من التشابه ما لا يخفى

١) Chronic. III, 470

٢) راجع تاريخ اللغة السريانية للدكتور مركس (A. Merx : *Hist. artis gram. ap. Syros*, p. 229-275)

ولابن العبري في نحو اللغة السريانية كتابان شهيران طالما تداولتهما ايدي الطلبة ولا تكاد تخلو منهما خزانة من مكاتب اوربّة الخطّية. فالاوّل هو كتاب اللمعي اي اللُّمَع (هفطا ويمتسا) ضمّنهُ ما ينيف على مئتين وعشرة مطالب في كلّ ابواب نحو اللغة السريانية (١ وهذا الكتاب قد عُني بنشرهِ في باريس سنة ١٨٧٢ الخوري مرتين العلّامة المستشرق الفرنسي. غير انّ هذه الطبعة قليلة نضارة الحرف لانها مطبوعة على الحجر. والكتاب الثاني هو كتاب المدخل (مدخا) صنّفهُ ابن العبري بالشعر وهو على البحر المعروف بالاقرامي ذي الاربع عشرة حركة يقسم كلّ بيت الى شطرين متوازنين مصرعين كبحر الرجز عند العرب. وقد علّق المؤلف عليهِ شروحاً وتفاسير مستجادة وهذا الكتاب ملخّص عن كتاب اللُّمَع السابق ذكرهُ ابوابهُ نحوٌ من ستين باباً. قد نشرهُ بالطبع المعلّم مرتين المذكور وهو مضمون الجزء الثاني من اعمال ابن العبري النحوية. وكان سبقهُ الى طبعهِ الدكتور برتو (Bertheau) في غوتا سنة ١٨٤٣ وفسّرهُ الى اللاتينية وذيّلهُ بشروح وافادات شتّى

وصنّف ابن العبري كتاباً ثالثاً في نحو اللغة السريانية دعاهُ كتاب الشرارة (هفطا وحكوزيمها) فيهِ خُلاصة قواعد هذه اللغة الّا انّ الموت عاجلهُ قبل اتمامهِ ولا نعلم أبقي منهُ أثر او لا

وقد نظم ابن العبري قصيدة لغويّة مطوّلة تنيف على ستمائة بيت من البحر الاقرامي المذكور ضمّنها على طريقة حروف المعجم ما وجدهُ من الالفاظ السريانية المتشابهة اللفظ المتباينة المعنى وألحقها بشروح لبيان هذه المعاني المختلفة. وقد طُبعت ايضاً هذه القصيدة في آخر اعمال ابن العبري النحوية الموصوفة آنفاً ومنها نسختان خطيتان في خزانة كتبنا الشرقية

٧ الكتب الادبيّة

انهُ لأمر عجيب كيف برّز ابن العبري في كلّ اصناف العلوم وفنون الانشاء التي قلّما تجتمع في رجلٍ واحد لما تقتضيهِ في الكاتب من الصفات الفريدة والسجايا المتنوّعة العديدة. أفلا ترى مثلاً ان كبار الفلاسفة لم يحكموا نظم الاشعار ولم يقصدوا القصائد لما بين

١) وقد اخذ عليهِ السيّد الجليل والحبر العلّامة اقليمس داود رئيس اساقفة دمشق على السريان في مقدّمة كتابهِ الموسوم باللمعة الشهيّة في نحو اللغة السريانية (ص ٢٤ و ٢٥) انهُ لم يتبحر في احوال اللسان السريانيّ القديم

الشعر والفلسفة من التباين. وكذا قل عن النحو والرياضيات والعلوم الدينية لا يبدع فيها مما الا من نشأ كابن العبري نسيج وحده وفريد دهره فانهُ كان جامعاً لشتات العلوم يُشار اليهِ بالبنان في كلّ ضروبها. وكتبهُ الادبية اذا عرضتَها للنقد وقستَها باجود ما صنَّفهُ السريان وجدتها تضاهيها حُسناً وتباريها انسجاماً. ومن ذلك ديوان شعرهِ السرياني الذي جمع كلّ ما لطف وراق لفظاً ومعنى. وهذا الديوان قد وقف على ضبطهِ وطبعهِ في رومة العظمى سنة ١٨٧٧ حضرة الاب اوغسطينوس الشابلي الراهب الماروني وهو يشتمل على ثمانين قصيدة وفي آخر الكتاب معجم الالفاظ العربية بالسريانية واللاتينية. غير ان هذا المجموع لا يتضمن كلّ شعر ابن العبري وقد وجدنا في مكاتب اوربّة كباريس واكسفرد وبرلين وروميةَ نسخاً خطيّة من ديوانهِ تشتمل ما ينيف على ذلك كثيرًا. وكان الدكتور لنجرك (Lengercke) اهتمّ في سنة ١٨٣٦ بطبع قسم منها نقلًا عن نسخة باريس وشفعها بترجمة لاتينية وهي طبعة كثيرة الاغلاط

ومواضيع هذه القصائد مختلفة تشهد لابن العبري بجودة القريحة والتفنُّن فمنها مديح ورثاء ومنها اوصاف وحكم وتاريخ وزهد وعتاب. ولهُ في اسرار الدين الاقوال الحسنة منها قصيدتهُ في الثالوث الاقدس لم تُرْوَ في ديوانهِ مطالعُها :

مُحْسِ هَزَّهُا سُعْمِ حَمَّ بِكَهْ حِنْ هَحْهَا هُمْ هُمْ

وهي طويلة. ومن نظمهِ العجيب قصائدهُ الفلسفية في النفس وخواصّها وقواها واتحادها بالجسد وفي السماء وتكوّنهِ ومحاسنهِ وبروجهِ وافلاكهِ وفي الجسد وحكمة الخالق في تركيبهِ. وقد ورد في جدول كُتُب ابن العبري الذي رواهُ السمعاني في ذيل الصفحة ٢٦٩ من الجزء الثاني في مكتبتهِ الشرقية ذكر قصيدة شينية نظمها ابن العبري في النفس وارصانها على طريقة ارسطو. ولم نجد لها اثرًا في نسخ ديوانهِ بل ولم تُذكر في بقية قوائم تآليفهِ فتأمَّل

وقد امتاز ايضًا شاعرنا المُفلق بالقصائد اللاهوتية على طريقة الصوفيين فيتغزّل بالكمالات الالهية كعمر بن الفارض ويصفها تارة بصورة الخمرة الطيّبة واخرى بهيئة فتاة فريدة الخصال بهيئة المنظر كما في نشيد الانشاد. ولا يجهل من لهُ المام بالشعر السرياني قصيدتهُ في الحكمة الالهية المستهلّة بقولهِ :

هِيَّهِ هَ حَهْهَا لِهَكْهَا وَهِيَّهِ هَحْهَا أَمْهِ

وهذه القصيدة الطنّانة كان العلاّمة جبرائيل الصهيوني الماروني طبعها لاوّل مرّة في

باريس سنة ١٦٢٦ فجدَّد طبعها القس يوحنا نطين اللبناني في رومية سنة ١٨٨٠ وعلَّق عليها شرحًا وجيزًا بالعربية. وقد استحسنها بعض المحدثين فنظمها بالشعر العربي وهذا اوَّلها(١ :

بدتْ تجاو بسالنا سناها فنورُ الشمس يخجلُ من ضياها
فتاةٌ راق منظرها ورقَّت سهامٌ ارسلتها مقلتاها (٢
بتول كاعبٌ امْ عجوزٌ صفاتٌ ليس يجمعها سواها

ومنها: بها النور انجلى والليل أدجى راماً النيران فانظراها
وقد غدت العناصرُ والدراري تُساسُ بها وتلمع في سماها
ومنها البرق والصعقات كانت فراعجًا لما صنعت يداها

ومنها: شُغفتُ بحُسنها فضنيتُ وجدًا بها من يوم أُظهر لي بهاها
طويتُ على الطوى صديانَ أرعى سقيمًا نجم ليلٍ ما تناهى
سلكتُ لاجلها في كلّ شعبٍ فما بقيت بلادٌ لم أطاها
ولولا انّ بي داء عياء لما عفتُ التطوُّفَ في رضاها

وكلُّها معانٍ مبتكرة اخرجها ابن العبري مخرجًا حسنًا بنظم يزري باللآلئ

ومن تآليفه الادبية غير المطبوعة كتابهُ الموسوم بدفع الهمّ صنَّفهُ بالعربية منهُ في خزانة مكتبتنا الشرقية نسختان حسنتان. وقد نقلنا عنهُ في مجموعنا الادبي لكليات اوربة (Chrestomathia arabica, p. 253) نبذة في منفعة الشكر ومضرَّة الكُفر. والكتاب مقسوم الى اثني عشر بابًا هاك اسماءها: ١ً في فضيلة الديانة ٢ً في منفعة الشكر ٣ً في مدح العفَّة ٤ً في شرف التواضع ٥ً في حسن الرحمة ٦ً في فائدة التوبة ٧ً في فضيلة العقل ٨ً في منفعة المشورة ٩ً في مدح حُسن الخُلق ١٠ً في شرف الكرم ١١ً في حسن العدل ١٢ً في فائدة الحلم. وطريقة الكاتب في كلّ باب ان يعرِّف ما اراد وصفهُ ويقابلهُ بضدّهِ لتظهر خواصُّهُ بالمقابلة ويزيد ذلك بآيات الكتب المنزلة واقاويل الحكماء وامثال الشرفاء وتاريخ الاقدمين

ومنها ايضًا كتاب صنَّفهُ بالسريانية دعاهُ بالقصص المضحكة (ܥܕܘܬܐ ܘܡܬܠܐ ܡܫܚܩܢܐ)

---

١) راجع دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني الجزء الاول ص ٥٩٥.
٢) كذا في الاصل وبين الشطرين تباين ظاهر

وهو مجموع مطوّل ضمّنهُ صاحبهُ احاديث مطربة وروايات مبهجة واقاويل فكاهية غايتها ترويح النفس وبسط القلب. وهذا الكتاب قد انجز طبعهُ في لندن عام ١٨٩٦ المستشرق العلاّمة الشهير بدجر (Badger) واحكم ضبطهُ وترجمهُ الى الانكليزية وذيّلهُ بعدّة حواشٍ تاريخية ولغوية وادبية (ستأتي البقية)

في الروايات الخياليّة

للاب اميدي لوريول اليسوعي

(تابع لما سبق)

ولمّا صارت حالة اوربّة الى الهدوء والسكينة في القرون المتوسطة وامتزجت امم الشمال الحديثة العهد بقدماء سادة العالم من الرومان وغيرهم ثارت فيهم روح الحميّة وحملتهم النخوة على تخليد مآثرهم. وكان العرب وقتئذٍ يملكون الاندلس وقسمًا من جنوبي فرنسة فيدخل شعراؤهم على الامراء يشنّفون آذانهم بتديحهم ويطربون مسامعهم باحاديثهم وفكاهاتهم. فالتفّ بهم شعراء الغرب واخذوا عنهم قوافي ازجالهم وجعلوا يطوفون في بلاد اوربة فيتقابون ملوكهم مجتدين نوالهم باناشيدهم المطربة واقاصيصهم المستطرفة يمدّدون فيها محامد الاشراف ويطنبون على مكارم اجدادهم. وهم المشهورون عندهم باسم البَرد (barde) والتروبادور (troubadour) والمينسترل (ménestrel)

فمن ذلك نتجت تلك الروايات الانيقة التركيب السهلة الالفاظ الرقيقة المعاني التي لا تزال الى يومنا تبهج القلوب وتفكه الالباب. ومن خواصّ هذه الروايات انّهُ يغلب عليها روح الدين وتستنكف للهجر والبذيء من الكلام وتأبى الهزل المستقبح وتصون عِرض النساء. ولا بدعَ فانّ تلك الاجيال كانت مُشربةً روحَ الدين وتعمل بموجب وصايا الانجيل الشريف حتى لم يأنف بعدئذٍ فيليون احد مشاهير اساقفة فرنسة ان يكتب روايةً خيالية لتهذيب حفيد لويس الرابع عشر فوضع لهُ قصّة تليماك وادمجها بكلّ ما وقّ وراق من الشمائل الحماسية والعواطف اللينة والمواعظ الحكمية والتعاليم السياسية. وكتابهُ هذا تحفةٌ من متاحف اللغة الفرنسية يُدرس كما تدرس تآليف اكبر الادباء.

وكانت هذه الروايات تختلف في كلّ دولة على اختلاف اذواق اهلها فكان القصّاصون من الفرنج والايطاليان يشيدون بمناخر رولان (Chanson de Rolland) والاسبان يتباهون باعمال رودريغ دي بيڤار المشهور بالسيد (le Cid) والالمان يروون مآثر سيغفريد (Siegfried) وآل نيبلونغن (Niebelungen) والانكليز يطنبون بعاظم الملك ارثور (Arthur)

ولم يتأخر كتبة الشرق في تلك الاثناء عن سرد الروايات الخيالية. وكان العجم سبقوا العرب في كتابة هذه الروايات. فوضعوا كتاب هزار افسانة اي الف خرافة وهو الكتاب الذي اخذهُ عنهم العرب فاتّسعوا بهِ ونمّقوهُ ونسجوا على منوالهِ كتاب الف ليلة وليلة ولم يزالوا يتصرّفون بهِ حتى بلغ في القرن الرابع عشر للمسيح الى هيئتهِ المعهودة في زماننا (١. والعجم ايضاً تآليف كثيرة اودعوها حكايات خيالية منها كتاب الف يوم ويوم وقد مرّ ذكر كتاب شاه نامه للفردوسي صنّفهُ في القرن العاشر وجمع فيهِ جميع اخبار قدماء الفرس وجبابرتهم كرُستم وكيكاوس. وصنّف العرب في القرن الثالث عشر اخبار عنترة اودعوها قسماً كبيرًا من تواريخ ملوك العراق وغسّان وقبائل اليمن والحجاز ثم كتبوا اخبار سيف بن ذي يزن وسيرة بني هلال وما شاكلها ممّا نُشر في ايّامنا بالطبع بعد ان تناقلتهُ ألسنة القصّاصين مدّة قرون عديدة وتصرّفت فيهِ كلّ تصرّف

وهذا الطور من تاريخ الروايات اكثر ما غلب عليهِ الغلوّ في وصف الامور العجيبة والاحاديث المستغربة والحروب العوانة ممّا لا يسهل تصديقهُ وتبعد عن العقل حقيقتهُ. وذلك الى اوائل القرن السابع عشر لمّا ظهر الكاتب الاسباني سرڤنتس فصنّف كتابهُ المشهور بدون كيشوت (Don Quichotte) فكان هذا التأليف ضربةً لازبة في اوربة على هذه الروايات المبالغة في عمل الخيال. وذلك لانّ هذا المؤلف عرض للهزء والسخريّة آل عصره الذين كانوا يهيمون بقراءة كتب خرافية مفعمةً من الاقاصيص المختلقة والخزعبلات الملفّقة فكسد منذ ذاك سوقها ولم تعد تنفق بضاعتها

غير أنهُ ظهر في ذلك القرن كتبةٌ اخذوا ينهجون في تصنيف القصص الخيالية طريقةً أخرى فجعلوا يُحيون بكتاباتهم حكايات آلهة اليونان فيكسونها صورة جديدة ليحسّنوها في اعين

١) راجع مقدّمة الاب صالحاني على طبعة الف ليلة وليلة

القوم . فرشق الشاعر بوالو (Boileau) هذه المصنفات بنبال شعره المصيب فلم يعد احد الى كتابة مثلها

ولكن لما كان الانسان مجبولاً على حبّ التخيُّل لم يلبث قوم من الكتبة الاوربيين ان يصنفوا روايات جعلوها على نمط جديد وتحرّوا فيها وصف الطبيعة والتشبُّه بالواقعيات ما امكنهم . ومما كتب من هذا القبيل فاستحسنهُ ذوو الذوق السليم اخبار روبنصن كروزي واسفار الاكرسيس . وبرع في انكلترة كتبةٌ كريشاردسُنْ (Richardson) وولنغ (Willing) وسويفت (Swift) وكلهم احسنوا وصف آداب عصرهم على صورة الروايات الخيالية ومسَّن برَّز في فرنسة في ذلك برزدان دي سان پيار (Bernardin de S^t Pierre) ورابلي (Rabelais) بيد انَّ كتبهُ هاتكة لستر الآداب

فلما خُتم القرن الثامن عشر ولاحت انوار العصر التالي حتى صار مؤلفو الروايات الخيالية يرتاحون الى كثرة الاوصاف وتمديد احوال البشر في كلّ حالاتهم مع رسم عواطفهم الباطنة وتصرّفاتهم الجنَّة في العائلة وفي كلّ اطوار الهيئة الاجتماعية

وفي عصرنا هذا اضحى فنّ الروايات متَّسع النطاق شائعاً ايَّ شيوع فان ما يطبع منها سنويًّا يتجاوز الالوف . وان اردنا سرد اسماء الكتبة الذين يتعاطون هذا المهنة لضاقت على اتساعها صفحات هذه المجلَّة

هذا وليس في معرفة هولاء الكتبة من طائل كبير من حيث المعاني ومن حيث التعبير . وكثيرًا ما يكفي للقارئ ان اراد الوقوف على كنه هذه الكتب ان يطالع فهرست الرواية فيكون على بصيرة من حقيقتها ولا يصرف وقتهُ في مطالعتها

وتجمل ما اردنا بيانهُ في هذه اللمعة ان نوضح ما يختصّ بجوهر الروايات المختلفة وانَّها كلّها مبنية على الخيال جلُّ ما تصفهُ العواطف الباطنة واهواء النفس ومن هذه المقدّمات يمكننا ان نستنتج ما تكنُّهُ الروايات من الاخطار اذ تمثل امورًا خياليَّة كانَّها جارية في الواقع وتثير ادقّ ما في الانسان من الاحساسات والعواطف فتحبّب اليهِ امورًا وتبغّض اليهِ اخرى وفي كلا الحالتين مبالغة وقد قيل انَّ احسن الامور اوساطها

(ستأتي البقية)

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

وجمال الدين هذا جرى في أيّامهِ حوادث كثيرة منها كذب بني ابي الجيش(١ على اقاربهِ وسجنُهم تلك المدّة الطويلة (٢ مع اعوانهِ بني شلب وخروج اقطاعهم واملاكهم عند فتوح طرابلس فحلّفة بها. وسنذكر ذلك ان شاء الله عند ذكرنا زين الدين بن علي ونستوفي تمام ذكر الاقطاعات عند ذكر ناصر الدين الحسين. ومنها حركة القطب (٣ وغير ذلك. وكان جمال الدين رجلًا طيباً ديّناً خيّرًا لم يوجد في زمانهِ مثلهُ وكان يُعَدّ من الاولياء. لزم القناعة والزهد في آخر عمرهِ. ولما استرجعوا الاقطاعات والاملاك قنع منها بعد الكثير بالقليل وهي عين دراقيل ومزرعة شمشوم ومزرعة مرتعون وشكارة وقرطبة (٤ عطيــة من اقاربهِ بخطوطهم من غير منشور وذلك في سنة اربع وتسعين وستماية. سكن طرد لا اوّل عمرهِ. ثمّ اخذ بيت ابرهيم من الطوارقة من بني عبدالله (٥ وعوّض عنهُ ببيتهِ في طردلا وموضعهُ الآن يعرف بدار الامراء. فجدّد جمال الدين عمارة البيت الذي اخذهُ بعد سَنَــد القطبُ وسكنهُ بعدهُ ولدهُ شجاع الدين عبد الرحمن وهو المعروف ببيت شجاع الدين الى وقتنا هذا وهو اوّل من سكن اعيانه من الامراء. ثمّ تشبّه بهِ اخوهُ سعــد الدين وولدهُ ناصر الدين على ما سنذكرهُ ان شاء الله. وهذا تاريخ مولدهِ نقلًا عن خطّ ناصر الدين

---

١) راجع ص ٤١٩. اوّل من تلقّب بهذا الاسم الامير صالح بن عرف الدولة عليّ الملقّب ارسلان بن مختار احرز شهرة كبيرة وتلقّب بابي الجيش زين الدين. وتزوّج بجميلة ابنة الامير نجم الدين محمّد بن حجّي بن كرامة. توفّي سنة ١٣٩٥م ودفن في عرامون

٢) سمّى بنو الجيش بآل تنوخ عند السلطان فسجن منهم ثلاثة امراء بصر وهم جمال الدين حجّي وسعد الدين خضر وزين الدين محمّد. ثمّ اطلق سبيلهم لمّا عرف براءتهم

٣) يريد قطب الدين السعيدي وُجد مقتولًا في كفرعمّيه فوقعت الشبهة بقتلهِ على امراء الغرب فسارت اليهم عساكر الشام ونهبوا اموالهم واعتقلوا منهم سنة ٦٧٧ (١٢٧٨م)

٤) هذه المزارع معروفة الى يومنا في مقاطعة الغرب. اما قرطبة فهي ضيعة كبيرة قرب الماقورة

٥) راجع ص ٤١٩

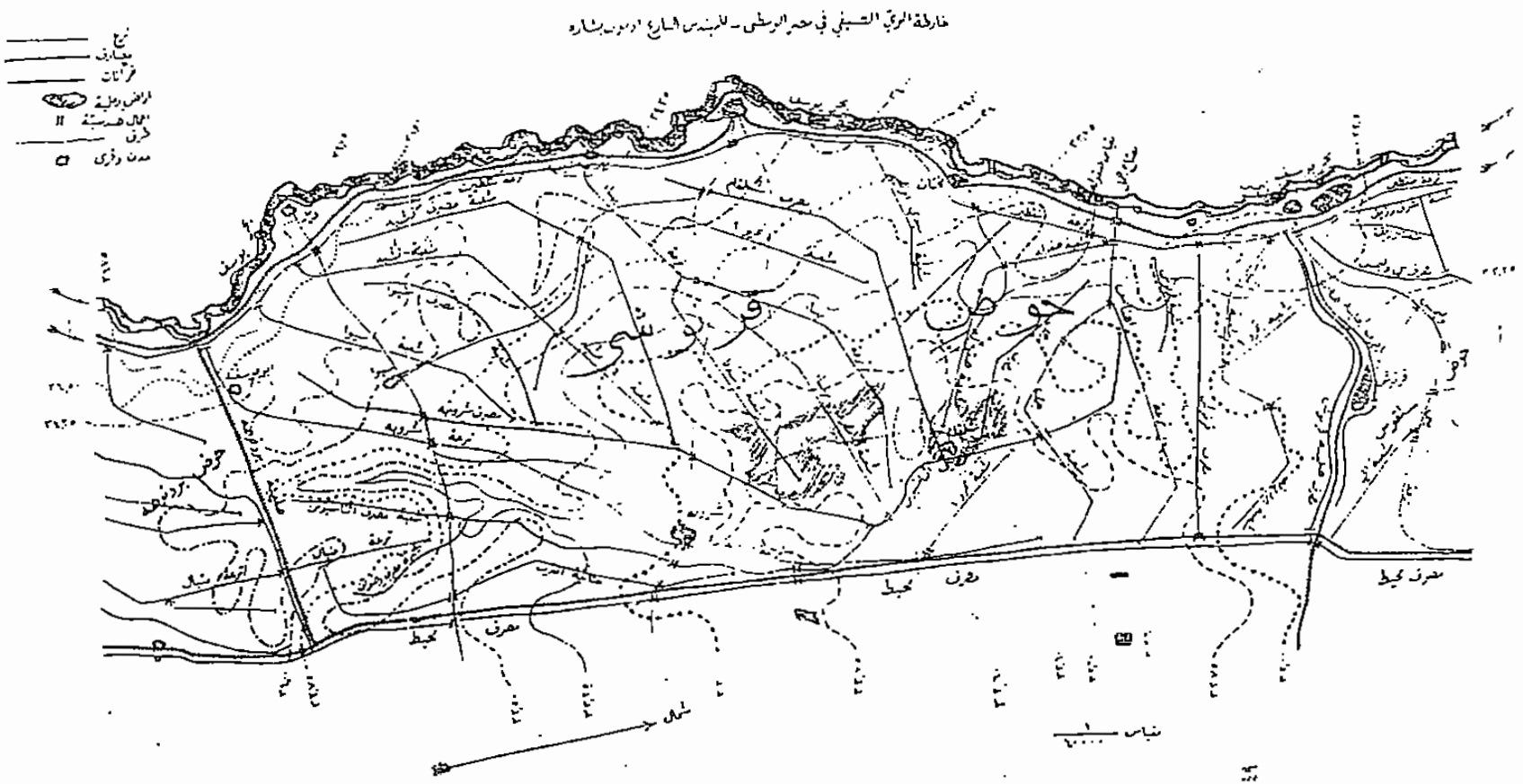
خارطة الري السفلي في حوض الوسطى - للمهندس المشاور ادموند بشاره
نهر
مصارف
قنوات
اراضي زراعية
الجبال الصخرية
طرق
مدن وقرى
حوض
مصرف محيط
مقياس

الحسين (27) قال: ميلاد العمّ جمال الدين حجي بن محمد منقول عن خطّه (تغمّده الله برحمته) في ليلة اسفر صباحها الثلثاء الرابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (١٢٣٦ م). ووفاته نقلًا عن خطّ ناصر الدين ايضًا العصر من نهار الثلثاء في الثاني عشر من شوّال سنة سبع وتسعين وستمائة (١٢٩٨م)

واسماء اولاده نجم الدين محمد عقّ اباهُ فطردهُ الى عيناب وتزوج بنت كيانس من ميسنون. ومن ذرّيته الامراء بعيناب. وامّهُ غير امّ اخوته وهو اكبرهم. وسيأتي ان شاء الله ذكرهُ في غير هذا الموضع. ثمّ شهاب الدين احمد وشجاع الدين عبد الرحمن وشمس الدين عبدالله وفخر الدين عبد الحميد

ورقفتُ على كتاب تمليك تاريخهُ(١ من جمال الدين حجي لاولاده الاربعة اختصهم به دون نجم الدين محمد اخيهم وهو يجمع اقطاعهُ وملكهُ عملهِ وذلك نكايةً في حقّ نجم الدين محمد وقصدًا للتبرّي منهُ

ذكر سعد الدين خضر اخي جمال الدين

ثم بعد جمال الدين حجي نذكر اخاهُ الامير سعد الدين خضر بن محمّد بن حجي. كان هذا رجلًا جليل القدر زائد الحشمة حسن الشكل مغرًى بالخيل الملاح والصيد. وقيل انّهُ كان اوّل من لعب بالطيور الجوارح من البيت وانّ صاحب قبرس اهدى اليهِ طيورًا وربّما كان الذي اهداها اليهِ صاحب بيروت وذلك اقرب الى العقل. وكانت غلمانهُ من عبيد الحبش اشتراهم بمالهِ فكان يرسل معهم خيلهُ يُرتعهم في المَتْن وكفرسُلوان(٢ وتملّك (27) مروجًا لمراعي خيلهِ

وقد وجدتُ باسم سعد الدين منشورًا من الملك المعزّ أيبك التركماني اوّل سلاطين الترك(٣ والعلامة: «حسبي الله» جهاتهُ من الشوف والمعاصر الفرقانيّة (٤ وبَنْدران

١) كذا بدون تعيين التاريخ ٢) كفرسلوان من مقاطعة المَتْن الى يومنا

٣) هو اوّل ملوك الاتراك في مصر بعد الدولة الايوبيّة كان مملوكًا لنجم الدين ايوب فاعتقهُ ثم صار اتابكًا للعساكر. ولمّا قُتل الملك المعظّم توران شاه وخلت زوجتهُ شجرة الدرّ السلطنة تولّى ايبك الامر سنة ٦٢٨ (١٢٥٠) حتّى تآمرت عليهِ شجرة الدرّ فقتلتهُ سنة ٦٥٥ (١٢٥٧م)

٤) لعلّهُ يريد معاصر الفخّار من قرى الشوف. ومن هذه المقاطعة بندران وعين ماطور (راجع اخبار الاعيان في جبل لبنان ص ١٣٠). وقد ورد هنا في ذيل الكتاب ما نصّهُ: هذان المنشوران استرجاع

وعين ماطور وبثلون وعين اوزّيه وكفرنبرخ وابريح وغريفة (١ ومن وادي التيم (٢ تشورة وظهر حمار. ومن اقليم الخرّوب (٣ برجة وبعاصير والشحيم (٤ تاريخهُ في السابع والعشرين ربيع الاول من سنة اربع وخمسين وستمائة (١٢٥٦ م) (قلتُ) هذا المنشور قد حيَّ الفكر لانَّ ابيك المذكور كان سلطان مصر ولم يحكم على الشام لأنها كانت للسلطان الناصر يوسف آخر ملوك بني ايُّوب بدمشق وقتلهُ هولاكو بعد اسره لهُ بمدة (٥ وقبلهُ قتل المعزّ ابيك بمصر في ربيع الاوّل سنة خمس وخمسين وستمائة (١٢٥٧ م) قبل اسر الناصر المذكور بثلاث سنين وكان بين أبيك والناصر المذكورين حروب وعداوة شديدة

ووجدتُ ايضاً منشوراً من الملك المنصور قلاوون (٦ جهاتهُ المغيثة وحقّ الطريق والمار وعاليه وبجدليعنا. تاريخهُ الثامن عشر من شوّال سنة ثماني وسبعين وستمائة (١٢٧٩ م)

ووجدت ايضاً منشوراً من الملك الناصر محمّد بن قلاوون (٧ جهاتهُ عاليه وعيتات واللبانة والدوير والصباحيَّة وبقطع إرض من العمروسية ومن درب المغيثة الرُّبع والسدس. وذلك ارتجاع عن الحلقة الطرابلسية تاريخهُ رابع ذي الحجَّة سنة ثلاث وسبعين وستمائة (١٢٧٤ م)

وسكن سعد الدين طردلا اوّل عمره ثم تشبَّه باخيه جمال الدين حجي وطلع (28 الى اعيه وعمَّر البلّيتين المتلاحقتين الواحدة بالاخرى سكنها باقي عمره ثمَّ سكنها بعدهُ ولدهُ صلاح الدين فعُرفتا بهِ. وتزوَّج امرأةً من كفرسارون كان ابوها من ذوي اليسار وسعة الرزق فاق اهل بلاد بيروت بكثرة الاموال. ثمَّ توفيت فتزوَّج سارة بنت الشيخ العالم من

---

١) بثلون (وعند العامَّة بتلون) وعين اوزيه (ويقال وزّيه) وكفرنبرخ وإبريح (وعند العامَّة بريج) ذكرها صاحب اخبار الاعيان (ص٣٠) في جملة قرى مقاطعة المُرُّوب لا في الشوف. امَّا النُّريفة فعدّها من الشوف السويجانيّ. ولا شكَّ انَّ تقسيم المقاطعات قد تغير مع الزمان

٢) وادي التيم مقاطعة لا تدخل في لبنان تُمَدُّ من جبل الشيخ وهي غربيّ دمشق بجهات حاصبيا وراشيا. ومن قراها عين تنوُّرة. امَّا ظهر حمار فلم نجد لها ذكرًا

٣) اقليم الخرُّوب من مقاطعات لبنان شرقيّ شمالي صيدا. وغربيّ الشوف

٤) برجة قرية مشهورة بزيتها. والشحيم قاعدة اقليم المرُّوب. وفي قربها بعاصير او المعاصير

٥) راجع ص ٥١٦

٦) راجع ص ٢٢٦ ٧) راجع ص ٢٧٦

كفرفاقود (١ وهو علم الدين علم بن سابور بن حسّان بن طارق من اصول بني عبدالله وامّهُ من البيت . نشأ بطرطوسا وتزوّج من كفرفاقود ورحل اليها في لفيف قرابته ولزمهُ معضاد بن عبد الدين فصائل (كذا) بن معضاد . وكان معضاد اميرًا ومقدّمًا على الاشراف وكان اقطاعهُ عين حجّة وادفول ونصف قطرة (٢ ثمّ انتقل ذلك الى بني سعدان ومن بني سعدان الى علاء الدين عليّ بن زين الدين . واما الشيخ العالم فانّهُ رُزق الدين والدنيا والسعة والحرمة الوافرة وكان مشكورًا عند اهل زمانهِ

ولنرجع الى ذكر سعد الدين خضر . فلمّا كبر في العمر نزل عمّا كان في يدهِ لولدهِ الحسين واستراح في بيتهِ (٣ وكان مولدهُ في رجب سنة تسع وثلاثين وستمائة ووفاتهُ نهار الخميس ثاني عشر ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة . اسماء اولادهِ ناصر الدين الحسين وامّهُ الكفرساوانية . ثمّ عزّ الدين الحسن وعلاء الدين عليّ وفتح الدين محمّد وشرف الدين سليمان وصلاح الدين يوسف وزين الدار (٤ وامّهم سارة بنت الشيخ العالم وهي زوجتهُ الثانية

(28ᵛ) ومن الطبقة الاولى جدّ الامراء بعرامون

قد تقدّم الكلام في انّ زين الدين بن عليّ كان معاصرًا لجمال الدين حجّي واخيهِ سعد الدين خضر ابنَيْ نجم الدين بن محمد حجّي (٥ وانّهُ ابن عم جدّهما فيجب ذكرهُ بعدهما (٦ وذكر ما كان في ايّام هؤلاء الثلاثة من الحوادث المعاصرة لكونهم في زمن واحد (ستأتي البقية)

---

١) كفرفاقود قرية من قاطعة المناصف

٢) جاء في الاصل في ذيل الكتاب ما حرفهُ : « اخذوهُ من جمال الدين محمود بن معضاد المذكور » (اه) . امّا الضيع المذكورة فهذا موقعها : عين حجّة وادفول (ويقال لها اليوم دفون) من الغرب الاعلى وقطرة (او كفر قطرة) من المناصف

٣) جاء في حاشية الكتاب : ومن الدليل ان سعد الدين المذكور في آخر عمره لم يتعلّق على اقطاع مرسومٌ وجدتهُ من الناصر محمد بن قلاوون من مضمونهِ انهُ يلازم الخدمة وليس لهُ اقطاع ولهُ معاري (كذا) مبلغ من درها (كذا) واتّما لا تعارض . وتاريخ المرسوم سنة خمس وسبعمائة (١٣٠٥ م)

٤) راجع الجدول الرابع ص ٤٢٢ امّا زين الدار فهي اختهم

٥) وفي حاشية الكتاب ما نصّهُ : انّ سعد الدين المذكور كان قبل وفاتهِ قد اوصى لولدهِ ناصر الدين الحسين بنصف جميع املاكهِ ولاخوتهِ الخمسة المذكورين بالنصف الثاني فكان ناصر الدين مخصوصًا بالنصف وحدهُ دونهم

٦) راجع جدول نسب زين الدين ص ٤٣٠

رواية الشقيقتين

للاب متري لامنس اليسوعي

(تابع لما قبلُ)

ولما لم يبقَ في العاصمة ما يستلفت انظار سيّاحنا وتصبو لمشاهدته العين شرعوا لترويح النفس بامتطاء الجياد ذهابًا الى الارباض فزاروا مَرْتون واطلال دِلْف وأُولمية. امّا شرل فقد عُهد اليه القيام بادارة وتنظيم شؤون هذه الرحلات التي كان بمعارفه الواسعة واساليبه الفنّية يزيدها رونقًا ولذّةً بحيث تتوفّر فيها الفائدة والانبساط

بل كان كأنّهُ تقمّص من الحيوة ثوبًا جديدًا في تلك الديار العظيمة بتاريخها. اجل انّهُ بالوقوف لدى معاهد اليونان واطلالهم تتنبّه شعائر علماء الآثار القديمة وتزداد فيهم امال التأمل والاستطلاع. فلا غرو والحالة هذه اذا ما رأينا شرل متغاضيًا عن جميع المشاغل الّا العلم ولذلك فانّ شقيقتيه لم تكونا لتتلفظا باسم وردة الّا فيما ندر وقد عادت سيماؤهُ تتدفّق طلاقةً وهشاشةً وملامحهُ تشير الى الرصانة والثبات وهي الصفات الخليقة باهل السياسة. وليس هذا فقط بل انّهُ اجاب دعوة الملك جرج والملكة أولغا الى حضور الحفلات الشائقة التي اقيمت في القصر الملكي فاستقبلهُ الملك والملكة بحفاوةٍ ولُطف لما علماهُ من حوادث امورهِ المحزنة وهكذا اخذ جرح قلبهِ الصادق في الالتئام والالتحام رويدًا رويدًا دون ان يشعر بالامر

٧

وقد خطر للبارون في آخر جولاتهِ في اليونان ان يذهب لمشاهدة « الميتور » (Mé-téores) وهي اديار قائمة في ابهج واجمل مواقع تساليا. وقد عرض هذا الخاطر على رفقائهِ فوقع لديهم احسن موقع

وبناء على ذلك فانهم نحو منتصف شهر اذار شخصوا الى البيرة ومنها ركبوا سفينة اقامت بهم مارّةً بطريق « فالير » ورأس « سونيوم »

ووقفت لاوّل مرّة لدى ارغاستيريه حيث مناجم « لوريوم » الشهيرة. امّا هذه المدينة فتبدو عليها مظاهر الهمجية والبداوة. وترى مداخن كبيرة منتصبة فوق معاملها. وكان

الدخان المتصاعد منها يجعل سماءها اشبه بسماء البلاد الشمالية المتلبدة فيها غيوم الامطار. على انَّها لا توافق سماء شرقيـة تبهج الابصار بصفائها الرائق وجمالها الفتَّان كما هو الغالب على جزائر اليونان

ثم دخلت السفينة الخليج الفاصل بين البلاد اليونانية وجزيرة أُوبي وهو الخليج المتسع في اوَّله المتضايق رويدًا رويدًا حتى مدينة كَلِيس حيث يتَّصل الشاطئان بجسر يمكن تدويره. وفي هذا الموضع يبدو لك مشهد غريب من المدّ والجزر وذلك انَّ جري الماء يندفع برهةً من الشمال الى الجنوب ثم يرجع الى الوراء.

ثم وصلت السفينة غلوص (قولو) احد ثغور تسالية البحريَّة وهي مدينة كثيرًا ما ورد ذكرها في اخبار الحرب الاخيرة التي نشبت بين الدولة العثمانية واليونان

ولا بُدَّ من القول ان غلوص انما هي باب تلك الولاية كلها على ان اصحابنا اي البارون ورفاقه لم يطيلوا المكث فيها اذ ما لبثوا ان ساروا في وجهة لاريسَة على قطار السكة الحديدية فوصلوا ثاني يوم كالاباكا وهي المحطَّة التي ينتهي بها الخطُّ الحديدي لدى صخور «ميتيور» قريبًا من حدود البلاد العثمانية

ان الجائل في تلك الربوع الجميلة يرى وراء كالاباكا على مسافة من الخانق التي يستطرق فيها نهر پينايوس عددًا عديدًا من الصخور العظيمة الهائلة نحتتها الادهار ونقشتها الازمنة والاعصار ورسمت منها المياه المندفعة عليها رسومات متشكلة متنوعة. وعلى قنان كثير من تلك الصخور بناياتٌ عالية الدعائم وهي المعروفة باسم «ميتيور» اي الصوامع المبنيَّة في الهواء. فهذه الاديرة هي اشبه باعشاش النسور قائمة على شواهق الصخور لا يُرتقى اليها بسبيل سابلة

على ان من اراد الذهاب الى تلك الاديرة فعليه ان يجلس في قفَّةٍ مشدودة الى طرف حبلٍ طويل يأتي الرهبان فيرفعونهُ الى فوق بواسطة بكَرة. ذلك هو «المصعد» القديم الذي ما برح مستعملًا على بساطته في اديرة تسالية «الهوائية» في ايَّامنا هذه.

فاخذ اصحابنا في الصعود على الطريقة التي مرَّ بك ذكرها فاحسُّوا بالدوار لان الصخر الذي صعدوا لدى حائطهِ كان مرتفعًا جدًّا يبلغ علوُّهُ زهاء مائة متر فضلًا عن كون ثقل انسانٍ واحد او اثنين لا يكفي لتركيز الحبل على خطٍّ عموديّ. فيحدث عن ذلك انَّ الصاعد على هذه الطريقة يرتفع تارة بسرعةٍ كلِّية وتارة يميل ذات اليمين او ذات اليسار تبعًا

لصفقات الهواء ثم يصادم الصخر مباغتة حتى اذا بلغ السطح تقدّم راهب وبيده خشبة طويلة محاولاً جذبهُ اليهِ . ولمّا كان الراهب يخشى على نفسهِ من السقوط في الهوّة فتراهُ يشرع في اجتذاب الصاعد اليهِ بتأنٍ وروية . وربّما اعياهُ التعب فيعود الى مقرّهِ ليستريح ويبقى ذلك الصاعد المسكين يتمايل في الفضاء على ما يشاء الهواء منتظراً قوّة جديدة تجذبهُ الى الداخل . وقد كان صعود اصحابنا في هذا المصعد بطيئاً جداً وكثيرًا ما اوشكوا ان يصادموا الصخر

على انّهم بلغوا السطح وذلك بعد ان اقبل الى آلة الجذب هذه ثلاثة من الرهبان في سنّ الشيخوخة اجسامهم ضئيلة عجيفة ووجوههم متغضّنة وظهورهم أحنتها الأيام . فلما رفع المسافرون الأربعة صاحبتهم الرهبان الثلاثة بهمّة وحرارة قلب الّا ان تلك الحرارة فترت بعض الفتور عند نظرهم النساء وعند ما لحظ اولئك الرهبان الارثوذكس ان ضيوفهم ليسوا من جماعتهم . وتحال بادر شرل فقدّم لرئيس الرهبان رسائل التوصية من وزير المذاهب ومن مطران اثينة وعندئذ اخذ الرهبان في ابداء الحفاوة والانعطاف مع شواهد الحيّة والتودّد

وكان شرل مبتهجاً فرحاً متأملاً بذلك المصعد وما احدثهُ من التاثير في نفوس رفاقهِ وشرع يتفقّد معاهد الدير جميعها فتارةً يسأل الرهبان مستفهماً عن الحوادث مستطلعاً طلعهم فيما أشكل عليهِ وتارةً يشاهد بنظارتهِ ما حول الدير من المشاهد الرائعة التي لا يمكن استجلاؤها بالعين المجرّدة . وقد استمال اليهِ قلوب الرهبان واستهوى ألبابهم بمعرفتهِ اللغة اليونانية تمام المعرفة وبرقّة حاشيتهِ وسلامة ذوقهِ كما انّهُ اعرب عن محبتهِ لهم واعتباره مقامهم وقدّم لهم من لفائف التبغ (السيكارات) حيث كانوا مولعين بتدخينهِ لانّ التدخين كان اللذّة العالمية الوحيدة التي كانوا متمتعين بها وهم يظهرون التجرّد عمّا سوى ذلك من الامور الارضية . وكان شرل باثناء تفقدهِ قلالي الدير عثر على كتاب يوناني خطي قديم فبادر الى سرقتهِ واطلعها على ما فيهِ من الرسوم والنقوش

وعند المساء قدّم الرهبان لضيوفهم مأدبة العشاء وكان اخصّ ما عليها من الطعام الزيتون والجبن وبعض اثمار يابسة وباثناء الطعام اخذ راهبٌ متقدّمٌ في السنّ يقصّ على الضيوف اخبار البلاد وحوادثها فسُرّ البارون بذلك منتهى المسرّة . وقد استرسل هذا الراهب المخبر في الكلام عن « ايتاثورس » فقال عنهُ انّهُ غول يقتات بالنحوم البشريّة وانّهُ في كل شهر كانت

تُقدَّم لهُ فريسة يلتهمها الى أن جاءت نوبة اسرة ملك تلك البلاد بتقديم الفريسة. وكان ذلك الملك شيخًا لهُ بنتان شقيقتان توأمتان عمر كلٍّ منهما ١٨ سنة متشابهتان لطفًا وجمالًا اسم احداهما صوفية والاخرى إليس. فاحتار الملك فيمن يختار منهما ليقدّمها للغول. وبالقضاء والقدر اصابت القرعة اليس التي كانت اذ ذاك مخطوبة لامير من امراء ايبروس فأخذ اليأس من إليس كلّ مأخذ. ولما نظرت صوفية ما كانت عليهِ شقيقتها من الحزن والقنوط تحرّك دم النخوة في عروقها وعزمت عزمًا دونهُ شجاعة الابطال. وذلك أنها ليلة اليوم الذي فيهِ وجب على شقيقتها ان تُقرَّب للغول ايتاثروس توارت صوفية عن قصر ابيها وانطلقت في سبيل الجبل متجهةً الى المغارة التي كان الغول مختبئًا فيها. ولكن رغمًا عن شجاعتها واقدامها قد اخذ منها الخوف كل مأخذ فاكفهرّ لونها وارتعدت فرائصها فصارت اشبه بالخيال. . . . فعندما وصل الراهب عند هذا الحدّ من الخبر اصفرّت الوان البارون وشرع قلبهُ يخنق فلحظ منهُ القنصل ذلك وتحال تظاهر انهُ منحرف الصحّة فنهض عن المائدة ونهض معهُ الجميع سائرين وراءهُ

ولما كان صباح اليوم الثاني باكرًا غلسًا زايل قومنا دير القديس « بَرْنَم » وانطلقوا يزورون ساحة الوغى الشهيرة في قَرْسالة. ولما كان البارون عالمًا بالآثار القديمة على ما مرَّ بك الخبر اخذ يدلّ رفاقهُ على اماكن ومحال الموقعة الشهيرة التي انتهت بها الحرب بين قيصر وبومبه وكان يقصّ عليهم حوادثها وباثناء محادثته عادت اليهِ الطمأنينة وصفاء البال بحيث ظهر للحاضرين ان ما كان حلّ بهِ بالامس من التأثر زال تمامًا. ثم عادت الجماعة الى العاصمة (اثينة) بطريق لاريسة وغولص (ستأتي البقية)

شذرات

مدينة ينسب بناؤها الى الفينيقيّين

من ذا الذي لم يسمع ذكر موناقو تلك البُلَيدة المستقلّة الواقعة على شاطئ البحر المتوسط المحاطة بحدائق خضرة ورياض نضرة تظلّلها اشجار شرقنا العزيز كالبرتقال والليمون والخرّوب. لا نظنّ احدًا يجهل وجود هذه المدينة الجميلة. الّا انّ نسبة بنائها الى الفينيقيين امرٌ تقرّر حديثًا يحسن بنا ايرادهُ افادةً لمحبي التواريخ القديمة لا سيما لمن ينتمي من قرائنا

الكرام الى ذلك الشعب الشهير الذي قد احرز قصب السبق على سائر الامم في الاسفار البعيدة. فنقول على وجه الاختصار :

كان الرومان يسمّون موناكو « مرفأ هرقليس موناكوس » (Portus Herculis Monoeci) ومن المتبادر ان لفظة Monoecus هي التي اشتقّ منها اسم موناكو الحالي. الّا ان معنى تلك اللفظة لم يدركهُ علماء الاعصار السالفة ادراكاً شافياً. فانّهم اعتمدوا فيه على حكايات اليونان فقالوا انّ Monoecus مشتقّة من كلمة Monoïkos اليونانية التي مفهومها الاله ذو البيت او الهيكل الواحد. وبناء على ذلك ذهبوا الى انّ باني المدينة التي نحن بصددها قد دشّنها للجاني الذي لم يكن لهُ الّا هيكل واحد وهو هيكل مدينة صور المشهور في الزمن القديم. وقد صرّح اليوم الحقّ عن محضهِ فتقرّر ان Monoecus مشتقّة من كلمة فينيقية « مَنَاوَخ » التي معناها « المُعطي الراحة »

هذا ما اثبتهُ مؤخرًا المسيو برجه (Berger) فبيّن ان الفينيقيين الذين بنوا موناكو شيّدوا فيها هيكلاً لعبادة الهتهم المعروف باسم « مَلْكارت مَناوخ » اي الجاني الواهب للراحة

ومما يؤيّد صحة هذه النسبة ما ورد في اخبار اليونان والرومان مخبوءاً بستر الاقاصيص الميثولوجيّة فرووا انّ الفينيقيين الاوّلين بعد ان اتخذوا على سواحل اسبانية عدّة مستعمرات لشؤون تجارتهم ساقروا الى الشمال واقاموا موانيَ اخرى متسلسلة بين جبال البيرينة والالب فلمّا صاروا قُبالة ساحل موناكو ولاحظوا فيها فُرضةً آمنةً وارضاً طيّبة احتلّوها وبنوا فيها مرفأً جديداً يكون لهم بمنزلة محطّة قبل توغّلهم في داخل البلاد. وقد بقي في بعض الاماكن المجاورة لجبل الالب البحريّ آثار تنبئنا بهذا الولوج وتدلّنا على المسالك التي كانوا ينهجونها من موناكو الى المدن الداخلية فلم تلبث هذه الميناء ان اصبحت محطّة خطيرة يتردّد اليها اصحاب التجارة بحرًا وبرًّا

امّا دُوَيلة موناكو الحالية التي لا تتجاوز قوّاتها العسكريّة المئة والعشرة انفار فانها تحتوي على المرفإ الذي ذكرناهُ ليس الّا ولها ثلاثة مدن اخرى صغيرة اي مَنتون (Menton) وروكبرون (Roquebrune) ومُنتي كرلو (Monte-Carlo). ومن المعلوم ان في الثغر الاخير مَلعَباً مشهوراً يتقامر فيه بعض الجهّال من ذوي الثروة واصحاب الطمع والدعارة. فكاني بالفينيقيين الوثنيين ابقوا في هذه الارض اثرًا من ذلك الميل القوي الذي كان

يحركهم الى ركوب ثبج البحور لاستجلاب الذهب والفضة وغيرهما من اسباب رغد العيش والترفُّه

جسر في الصين

اخبر اصحاب الاسفار انَّ في مدينة سَنغانغ من اعمال الصين على بوغاز من البحر الاصفر جسرًا بهيًّا طولهُ ٨ كيلومترات ونصف. فيقتضي قطع هذه المسافة اكثر من ساعة ونصف للراجل. وبناء ذلك الجسر المذهل من الحجارة المنحوتة وعدد اركانهِ ثلاث مئة. ويقال انَّهُ يرتقي الى القرن الحادي عشر وكلّ من يشاهدهُ من سيَّاح عصرنا يتعجَّب من بقائهِ صحيحًا سليمًا على تصاريف الدهور. والحقّ يقال ان الرومان الذين كان لهم في امر البنيان التبريز على سائر الامم لم يخلّفوا لنا اثرًا مستحكمًا كهذا الجسر الصيني العظيم

بيوت شيَّدها الاميركيُّون

ان اهالي نيويرك وشيكاغو من الممالك المتَّحدة يتسابقون منذ بضعة سنين الى بناء اعلى بيت في العالم. وقد ابتدأت هذه المجاراة البنائية في اثناء معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ فكان كلُّ من يزور هذه المدينة يذهل لابنيتها العالية التي هي اشبه بالصروح المرتفعة او الجبال الشاهقة منها بمنازل الانسان ومآوي البشر. ومن جملتها البناء الذي شيَّدتهُ جمعية ماسونية تدعى (Masonic fraternity temple association) ولهُ ٢١ طبقة يفوق علوهُ ٨٠ مترًا. الَّا انَّ اهالي نيويرك قد باشروا منذ عهد حديث ببناء بيوت اعلى يجاوز ارتفاعها حدَّ التخمين. مثالها دارٌ تدعى پَركرو (Park-Row) ولها ٣٠ طبقة يبلغ علوها ١٠٦ امتار. فهو اعجب بيت ظهر في العالم

ابنية يتفاخر ببناياها جماعة الماسون

هي بعلبك وتدمر ومدينة السلام و . . . و . . . وكل مدينة قديمة او حديثة بُنيت بحجر او بغير حجر . . . . . هذا مُجمَل ما ورد في كتاب تاريخ الماسونية لصاحب الهلال تولى الله رُشدهُ. وقد اثبت المؤلف الشهير هذه الأطاريف في عدد مجلَّته الغرَّاء الصادر في ١٥ ايار وأيَّدها بالبراهين اللطيفة التي تضحك من قراءتها الثكلى ويستفيق لسمعها الوَسنان

ولعلَّ نسبة البناء المرتفع الذي قد وصفناهُ في معرض كلامنا عن بيوت شيكاغو هي التي دعت المؤرِّخ الفاضل الى هذا التعميم المفيد الشامل لكل مأثرة جليلة. وعلى كلّ حال فني مقابلة ابنية الماسون في مدن اميركة الحالية مع الابنية التي شيَّدوها قديمًا في غيرها من اقطار العالم تقويةٌ عظيمة لزاعم صاحب الهلال الاديب. وان فاتتهُ اناره الله هذه

المقابلة المهمّة فالمرجو من ذكاء عقله وجودة ذهنه وقوّة مخيّلته ان يحسبها برهانًا جديدًا فيضيفها الى ما سبق لهُ من الادلة الجليلة والحجج المقنعة فيكون لنا من الشاكرين. ولو احبّ منّا ايدهُ الله ان نضرب صفحًا عمّا اوردناهُ آنفًا في شأن موناتو والجسر الصيني فنضيفها الى بعلبك وتدمر وبغداد وغيرها من المدن والابنية المشهورة المنسوبة الى جمعية البنّائين لفعلنا ذلك عن طيبة خاطر ونحن نرغب ألّا يبقى في حسن مآثر الماسون مجالٌ للاستثناء وميدانٌ للاعتراض

هذا واذا تأمّل صاحب الهلال ما اثبتهُ هو نفسهُ عن قِدَم وجود البنّائين على وجه المسكونة ثم قابل ذلك باقوال عرب الجاهلية الذين نسبوا بناء تدمر وبعلبك الى الجنّ فلا يخامرهُ شكّ في ان بين الجن البنّائين والماسون قرابةً شريفة فذلك على رأينا الضعيف اقرب الى الصواب ممّا سواهُ واقوى ما يمكن ايرادهُ في ضبط تاريخ هؤلاء البنّائين الذين قد افرغ المؤلف العالِم كنانة الجهد في نقل اخبارهم العجيبة ووصف اعمالهم الغريبة

الاب س. وتوفال

أسئلة وأجوبة

سألنا من عين كارم حضرة الاب لاون پوريو المحترم: ١ً ما كان الذراع القاسميّ في القرن الرابع عشر وكم كان يساوي من الامتار وقتئذٍ ٢ً وكم كان يوازي في ذلك الزمان الدرهم من القروش المستعملة في يومنا الحاضر ٣ً ما معنى الأمويّ (او) الرمويّ نسبةً

الذراع القاسمي

١ نجيب اوّلًا انّهُ لا اثر للذراع القاسمي في الكتب العربية التي امكنّا مراجعتها ولعلّهُ تصحيف للذراع الهاشمية المشهورة او للذراع التي نقلها محمد بن الفرج القسّام الى بلاد اندلس وهي نفس الذراع الهاشمية وطولها نحو ٠,٥٤٠٤ على الراي الاعم. (راجع Sauvaire, J. A. 1886ª, p. 501-4)

الدرهم في القرن الرابع عشر

٢ ان الدراهم المستعملة في القرن الرابع عشر مختلفة الثمن على اختلاف مصادر

ضربها . اما الدرهم الاكثر شيوعاً في ذلك العصر لاسيما في بلاد مصر والشام فهو الدرهم المستدير الفضي الذي وصفهُ المقريزي في كتابه المسمى « النقود الاسلامية » واليك نص كلامه (طبعة الجوائب ص ١٥٠) : انَّ الملك الكامل محمد بن العادل ابي بكر محمد ابن ايوب ابطل الدرهم الناصريَّ وامر في ذي القعدة من سنة (٦٢٢ هـ) بضرب دراهم مستديرة وتقدَّم انَّهُ لا يتعامل الناس بالدراهم المصريَّة العتق وهي التي تعرف في مصر والاسكندريَّة بالزيوف وجعل الدرهم الكامل ثلاثة اثلاث ثلثية من فضَّة وثلثة من نحاس . فاستمرَّ ذلك بمصر والشام مدَّة أيام ملوك بني أيوب . فلمَّا انقرضوا وقامت الاتراك من بعدهم ابقوا سائر شعارهم واقتدوا بهم في جميع احوالهم واقروا نقدهم على حاله . (اه) والدرهم المذكور يساوي نحو قرشين و ٨ بارات

نسبة الأموي

٣ قال في تاج العروس : الأموي بضم ففتح على القياس : نسبة الى (بني أُمَيَّة) وهو مصغَّر أُمَّة قبيلة من قريش (اه) وقال ابو الفداء في التواريخ القديمة يصف بني قريش : « وولد لعبد مناف هاشم على عمود النسب وولد لهُ خارجاً عن عمود النسب عبد شمس والمطَّلب ونوفل اولاد عبد مناف فمن عبد شمس أُميَّة ومنهُ بنو أُميَّة (اه) . اما كلمة الموي فلا اثر لها في كتب العرب الفصيحة س . د

س سألنا من الشوير الاديب ١ . ز ١ً ما هي اللغة التي كانت جاريةً في مصر في القرن الخامس للمسيح ما خلا اليونانية ٢ً هل كان للملك مرقيان اخ شاركهُ في الملك

لغة مصر في القرن الخامس

١ جوابنا على السؤال الاوَّل : انَّ اللغة القبطية كانت هي الشائعة في الاقطار المصريَّة في القرن الخامس للمسيح اللهمَّ الَّا الحواضر الكبرى . وكان القديس انطون ابو الرهبان لا يعرف غير هذا اللسان وكان كثيرٌ من اهل الاسكندريَّة نفسها يتكلمون باللغة القبطية في ذلك العصر . ولمَّا صار الشقاق بين الملكيين واشياع ديوسقورس زادت ايضاً اللغة القبطية انتشاراً حتَّى عمَّت البلد

اخو مرقيان الملك

٢ ونجيب على الثاني انَّ التاريخ لا يذكر لمرقيان اخاً قاسمهُ الملك . والمعروف ان الملكة بولخاريا هي التي دعت مرقيان الى السلطنة واقترنت بهِ على شرط ان تبقى بتولاً م . ل

قائمة للآثار الجوّية من ٢٣ أيّار الى ٥ حزيران ١٨٩٨

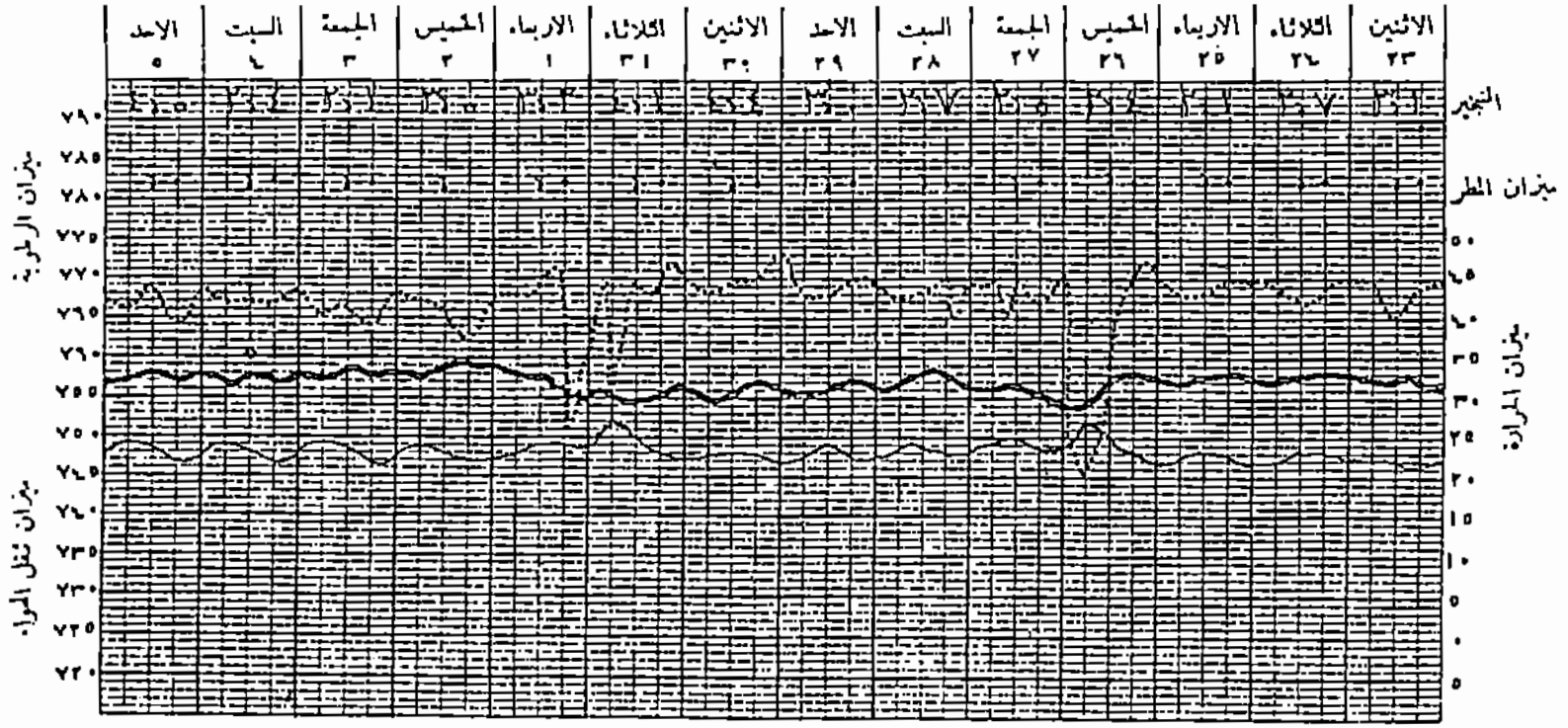

انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المردوف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ثرمومتر) – امّا الخطّ المنقّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هيغرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالمليمترات وعُشر المليمترات